الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

جامعة محمد بوضياف – المسيلة –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية – قسم التاريخ

محاضرات الثورات المحلية 1519-1830

مطبوعة بيداغوجية

موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر

الدكتور محمود بوكسيبة

أستاذ محاضر أ – جامعة المسيلة

الموسم الجامعي 2019-2020

الباب الأول :

التنظيمات العامة في الجزائر أثناء الحكم العثماني

المحاضرة الأولى : الأوضاع الاجتماعية للجزائر خلال الحكم العثماني

المحاضرة الثانية : التنظيم السياسي للجزائر خلال العهد العثماني

المحاضرة الثالثة : التنظيم العسكري للجزائر خلال العهد العثماني

المحاضرة الرابعة : التنظيم الاقتصادي للجزائر أثناء العهد العثماني

المحاضرة الخامسة : التنظيم الديني للجزائر خلال العهد العثماني

المحاضرة السادسة : علاقة السلطة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني

المحاضرة الأولى :

الأوضاع الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني

مقـــــــــدمة

I. **الوضع العام في الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م**

II. **التركيبة السكانية في الجزائر خلال الحكم العثماني**

III. **علاقة السلطة الحاكمة بالسكان .**

الأوضاع الاجتماعية للجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م

مقـــــــدمة

لقد ارتبط اسم "الجزائر" بالدولة العثمانية سنة 1545 وهي السنة التي أصبحت فيها أول إيالة عثمانية في شمال إفريقيا، حيث لعب العثمانيين دورا هاما في مساعدة الجزائريين وإنقاذهم من نفس المصير الذي لحق بمسلمي الأندلس، لقد ساهم وجود العثمانيين في إدخال تغيرات اجتماعية وسياسية وحتى اقتصادية على الحياة الاجتماعية للجزائريين واثروا بدرجات متفاوتة في مختلف مجالات الحياة.

I. الوضع العام في الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م

كانت الجزائر قبل 1500م مكونة من جزر متفرقة يحكمها الرعاة، وهي عرضة لاعتداءات الأوربية وبعد نزوح العرب المسلحين من الأندلس، ظهر الأخوان بربروس واتخذوا من الجزائر قاعدة لهم لصد الاعتداءات المحتملة، وبعد استشهاد عروج 1518م تسلم أخوه خير الدين الحكم وقام بالدخول تحت طاعة السلطان العثماني سليم الأول لمساعدته، وبذلك انضمت الجزائر تحت الحكم العثماني ونظم خير الدين الجزائر تنظيما جيدا استمر حتى سقوط العاصمة بيد الفرنسيين سنة 1830 إلا أن بعض الإخفاقات قد واجهت حكام الجزائر بعد وفاته تمثلت في عدم الاهتمام بالجوانب الاجتماعية التي منها الأوضاع الثقافية والصحية الأمر الذي أدى إلى تفاقم أزمات الشعب الجزائري من خلال تكاثر الأمراض وتدهور الاقتصاد والتعليم[1].

لقد كانت الجزائر في ظل الحكم العثماني منطقة ذات تنوع اجتماعي وذلك لاختلاف السكان فيها حيث كانت تمثل إحدى المحطات التي توافدت عليها الأجناس من جهات مختلفة ما بين 1519 و 1830م ولم يكن تنظيم المجتمع الجزائري أثناء العهد العثماني تنظيما طبقيا على شاكلة ما عرفته أوربا خلال العصور الوسطى وإن كانت هناك فئات اجتماعية حظيت بامتيازات أدت إلى تقسيم المجتمع إلى فئات اجتماعية متباينة حسب خصوصية ومكان إقامة كل فئة بحيث كل فئة، بحيث أن لكل منها خصائصها ومميزاتها[2].

II. التركيبة السكانية في الجزائر خلال الحكم العثماني

باعتبار أن الأتراك العثمانيين دخلوا إلى الجزائر وأحدثوا فيها العديد من التغيرات فبطبيعة الحال فغن الميدان الاجتماعي سيعيش تغير وتظهر في وسطه العديد من الفئات الاجتماعية.

أولا : سكان المدن

حيث كان يقطن في المدن العديد من الفئات وهي كالآتي:

1- جماعة الأتراك والكراغلة

أ- فئة الأتراك:

يصنف الأتراك إلى صنفين هما الأتراك الأصليون الذين يأتون إلى الجزائر من الأناضول وأتراك العقيدة وهم المسيحيون المرتدون عن دينهم الذين اعتنقوا الإسلام وهم الذين يعرفون باسم الأعلاج[3]، حيث تشكلت النواة الأولى الأتراك العثمانيين في الجزائر من حيث الانكشارية ومن المتطوعين الذين أرسلهم السلطان العثماني سليم الأول إلى خير الدين في أعقاب انضمام الجزائر تحت لوائه[4]، ولقد مكنهم النظام المالي الذي يخضع له اليولداش من الوصول إلى أعلى المراتب فكان منهم الباشوات والوزراء والبايات[5]، فقد كانت سلطة البلاد بيدهم ولهم الأولوية في كل شيء وقد استطاع العديد منهم تجميع ثروات طائلة ولا سيما في سهل متيجة[6].

كان الأتراك يستقرون في الحصون وثكنات مدينة الجزائر أو يتوزعون على حاميات المدن ومن أهم هذه الحصون التي كان يقيم بها الجنود الأتراك حصن القصبة وبرج النجمة والبرج الجديد وبطارية الباب الجديد ومن أسهم الثكنات ثكنة الخراطين واكرون واسطة موسى والدروج وباب الجزيرة، أما خارج مدينة الجزائر فتتوزع العناصر التركية على الحاميات التي بلغ عددها خمسة عشر حامية[7].

- تميز الأتراك بإتباعهم لتقاليد تركية والافتخار بأعمالهم العسكرية والاعتزاز بلغتهم الأصلية والعزوف عن خدمة الأرض كما كانوا ينظرون إلى الجزائريين نظرة يشوبها الاحتقار وينعتونهم بأنهم مجموعة من العصاة أو الخارجين عن القانون فلا يفيدون أحد منهم في الحامية[8].

ب- فئة الكراغلة:

مجموعة سكانية تحتل المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي الجزائري خلال العهد العثماني وقد بلغ عددهم في مدينة الجزائر في ناهية القرن 18م حوالي 6000 نسمة[9]، وظهرت لأول مرة في المدن التي تقيم بها الحاميات العثمانية وفي مقدمتها مدينة الجزائر[10]، وبهذا أصبحوا يشكلون نسبة حكومة خاصة بهم ويتقاسمون المدينة مع طبقة الحضر وأصبح لهم ديوان خاص بهم وصلاحيات معترف بها، لذا زادت صلتهم بالأتراك وعلاقتهم الخاصة بالأهالي وكان لهم نشاط تجاري خاص بهم فاشتغلوا في بعض المهن واستثمروا الأراضي الزراعية وأيضا الوظائف الإدارية متوسطة الأهمية[11].

- حاول هؤلاء بحكم الميلاد واللغة والانتماء العائلي إلى تبوء مكانة صغيرة في المجتمع والحصول على امتيازات ممنوحة لآبائهم هذا أدى إلى تخوف الأتراك من تكاثر الكراغلة الذين أصبحوا مع نهاية القرن 16م يقدرون بنصف عدد الأتراك خاصة وأنهم أصبحوا يتقلدون مناصب هامة في الدولة والحكم ونيل الامتيازات هذا دفع بالأتراك يحترزون منهم خاصة عند توليهم الوظائف السامية في الجيش والإدارة لذا ساءت العلاقة بين الطرفين سنة 196م فدفع هذا الأمر بالداي شعبان إلى انتهاج سياسة الترضية فسمح لهم حتى الانتساب الأوجاق[12]، وفي سنة 1813م استغلوا خطة الداي الحاج علي باشا التي كانت تهدف للقضاء عليهم ووقفوا إلى جانب الداي علي خوجة من أجل إخماد تمرد الانكشارية عام 1817م[13].

وفي أواخر العهد العثماني ازدادت قوة الكراغلة لكنهم اكتفوا بالحصول على الامتيازات فلم يعد يهمهم الارتقاء إلى المناصب السياسية وتولي المهام العسكرية وإنما أصبح اهتمامهم مركزا أساسا على تنمية ثرواتهم وتنشيط تجارتهم ولهذا فشلوا في التعبير عن طموحاتهم وطموحات الشعب وإيصال صوتهم إلى الحكام باعتبارهم طبقة وسطى تقرب الحكام من المحكوم[14].

2- طبقة الحضر:

لقد كانت طبقة الحضر في أواخر العهد العثماني في الجزائر فئة ذات فعالية اجتماعي ويطلق لقب الحضر على السكان القاطنين في المدن منذ الفترة الإسلامية وما تقدم إليهم من

طائفة الأندلسية وكانوا يستغلون في الحرف والتجارة والأعمال الإدارية، ورغم دور هذه الفئة الاقتصادي والاجتماعي إلا أنها كانت محرومة من التطلع السياسي أن احتكار العثمانيين للسلطة منعها من ذلك(15)، ومن أهم العناصر المشكلة لهذه الفئة: **الأشراف، الأندلسيين.**

أ- الأشراف

تمثل فئة قليلة العدد وهم الذين ينتسبون إلى آل البيت كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية ودينية وسياسية حيث كانوا يحكمون في النزاعات بين الأهالي وأصحاب السلطة ويحمون المهاجرون والضعفاء من الناس فلذلك تمتعوا باحترام كبير[16]، وهم أحسن وضعية عن غيرهم من الأهالي، حيث أنهم معفيين من الضرائب كما تقلدوا مناصب القضاء والإفتاء والتعليم وغيرها من المقاليد الهامة مكنتهم من اكتساب مكانة مرموقة في المجتمع[17].

ب- الأندلسيين

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني هجرة أندلسية واسعة وتتمثل هذه الفئة من الذين طردهم المسيحيون من اسبانيا خلال القرن 16م وتوافدوا على الجزائر عن طريق مرسيليا وموانئ فرنسية أخرى[18]، كما يطلق عليهم كذلك اسم الموريسكيون ولم يكن بإمكانهم الالتحاق بالجيش أو الوظائف العليا لذلك انتهجوا عددا من الصناعات الأخرى مثل صناعة البارود والخزف[19].

ورغم أن أغلب الأندلسيين كانوا يعتبرون أنفسهم في دار هجرة مؤقتة ويرتقبون الوقت الذين يتمكنون فيه من العودة إلى مواطنهم الأصلية إلا أن للتأثير الأندلسي في المدن كان عميقا جدا ويمس مختلف أوجه الحياة وذلك لكونهم أكثر ثقافة وتطورا ونشاطا من باقي الجماعات الحضارية الأخرى[20]، وفقد أصلحوا الأراضي الزراعية وأنشئوا مصانع للنجارة والحدادة كما تولوا وظائف السلك التعليمي والقضائي وظهر منهم الفقهاء والعلماء[21].

ولقد حرم على هؤلاء الأندلسيين مثلهم مثل الجزائريين والكراغلة من الاشتراك في الشؤون العامة باجمعها وأعفوا من الخدمة العسكرية فلم يبدوا أي مقاومة للحكم التركي وقنع أغلبهم من نصيبهم من غنائم القرصنة ومن الحذف والصناعات المختلفة[22].

ولم تقتصر هجرات الأندلسيين على مدينة الجزائر فقط بل شملت حتى مدن أخرى مثل: شرشال، البليدة...[23] ، ومن أشهر العائلات الأندلسية التي سكنت الجزائر واشتغل أفرادها بالتجارة والصناعة[24].

3- جماعة البرانية:

أو ما يصطلح عليهم بالوافدون أي العناصر المحلية الوافدة إليها من مختلف الأقاليم المجاورة، إليها بغرض البحث عن العمل لكسب لقمة العيش ومن أهم الفئات الوافدة على المدن الإقامة والعمل نذكر:

أ- جماعة بني ميزاب:

ينتسب إليها السكان المنحدرون من غرداية وبني يزقن وبريان بالإضافة إلى سكان بني ميزاب ومناطق الشعابنة وورقلة وهم من أتباع المذهب الإباضي(25).

ب-جماعة البساكرة:

تتكون من أهالي مناطق الزيبان ووادي ريغ وسوف وتغرت الذين قدموا إلى المدن الكبرى طلبا للعيش وأوكل لهم ببعض المهن المتواضعة والأعمال الشاقة كإحضار المياه إلى المنازل، كما كان البسكريون يصنعون من صوف الأغنام أغطية رفيعة ويرسلونها إلى الجزائر وتونس ليتسنوا في مقابلها مبالغ مالية[26]، ويتولى شؤون جماعة البساكرة أمين يعرف لدى العامة بالبسكري سيدنا[27].

ت-الجماعة الجيجلية:

إعتاد أهالي مدينة جيجل ونواحيها الهجرة إلى مدينة الجزائر، وذلك للعلاقة الخاصة التي كانت تربطهم بالأتراك منذ استقرار الأخوين بربروس ومن معهم من الأتراك بجيجل وتدعمت مكانتهم لدى الدايات مما مكنهم من الحصول على ثروات وإمتلاك المخابز والمنازل[28].

ث-جماعة الزنوج: أصلهم من الأقطار السودانة يستخدمونهم في الدور وكانوا يحملون على الحمير البضائع والأثاث ومواد البناء كالرمل والحجر والخشب، وقد كان التجار من الإفرنج يسكنون بالجزائر ولهم دكاكين للبيع والشراء[29].

ج- جماعة الدخلاء:

ح- جماعة اليهود : تكونت فئة اليهود بالجزائر من ثلاث مجموعات:

- المستقرة بالبلاد منذ القدم أو من أتى إليها من إسبانيا أو طائفة يهودية ذات الأصل الأندلسي، حيث أقام اليهود أهم المدن والمراكز التجارية مثل عنابة وجيجل وشرشال والجزائر وقوراية وغيرها، وذلك لطبيعتهم الميالة إلى التجارة أكثر من أي نشاط آخر(30) ، منح اليهود الذين اعتنقوا الإسلام خلال الفترة العثمانية لنوع من العرف عرف باسم الذمة يجدد باستمرار، والذي ينمح بموجب الجالية المسلمة المأوى والحماية لأعضاء الديانات السماوية الأخرى إلا أن سيطرة اليهود على أهم المدن وعلى التجارة والمال مستخدمين في ذلك الرشوة بينهم وبين مجموعة من أمناء السوق وبعض المؤولين أدت إلى سوء العلاقة بينهم وبين الآهالي(31).
- **المسيحيون:**اغلبهم من الإسبان والبربر غالبين الإيطاليين والأمان، عددهم قليل بمدينة الجزائر، وهم عادة ما يخطون التي تكون في حالة سلم مع الداي.

ثانيا : سكان الريف

يؤلف سكان الأرياف غالبية سكان الإيالة الجزائرية إذ كانت تزيد نسبتهم العددية على 90% من مجموع السكان، ويمكن تصنيفهم حسب صلتهم بالحكام وعلاقتهم ببعضهم البعض وطريقة عيشهم إلى:

1- قبائل المخزن:

هي مجموعات سكانية لها صبغة فلاحية وعسكرية وحتى إدارية لما تقوم به من أعمال وتؤديه من أدوار، وهي لا تعود في أصولها إلى نسب واحد أو أصل مشترك بل هي في الواقع تجمعات سكانية تعميرية ذات تكوين اصطناعي فمنهم العبيد والكراغلة وعرب الصحراء وسكان الهضاب العليا والجبال ويمكن القول بأنها شكلت حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف والحكم في المدينة، ومن المهام العسكرية التي كلفت بهذا هذه القبائل هي استخلاص الضرائب وإيقاع العقاب بالممتنعين والمعادين لسلطة البايلك وحواسه الأبراج والحصون والخوانق الجبلية والممرات الصعبة. (32)

تمركزت القبائل المخزنية بصفة خاصة في الأراضي الزراعية وفي الأماكن التي كانت تقام بها الأسواق الأسبوعية، وفي أهم الطرقات والأماكن التي توجد بها المنشآت الإستراتيجية مثل: الجسر، أما بالنسبة لدائرة وهران فقد تمركزت قبائل المخزن في خمسة أعراش جالية الدوائر والزمالة والغرابة. [33]

2- قبائل الرعية:

هي القبائل الخاضعة مباشرة للأتراك والمعرضة لصفوف الضغط والاستغلال والإكراه والقسوة من طرف رجال البايلك وفرسان المخزن، فاستخلصت منها الضرائب الثقيلة وأرغمت على بيع محاصيلها الزراعية بأسعار زهيدة، ومنع عنها الاتصال بالقائل المعادية البايلك و الممتنعة عن نفوذه، كما حضر عنها شراء البنادق الكبيرة[34]، كما أنها لم تكن تحظ بأي امتياز منم السلطة التركية فقد كانت تدفع الضريبة مما جعل وضعيتها أسوأ من وضعية تلك القبائل التي لم تكن تخضع للسلطة المركزية. [35]

3- القبائل الممتنعة:

هي القبائل التي كانت بعيدة عن نفوذ الحكام وغير معترفة بسلطتهم وهي تتألف في أغلبها من القبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية الحصينة كالبابور وجرجرة والونشريس وطرارة وشمال قسنطينة و الأوراس، أو التي كانت تجوب جهات الهضاب الوهرانيين ومناطق الأطلس الصحراوي[36] أطلق على هذه الجماعات السكانية اسم القبائل شبه مستقلة لأنها كانت تقطن جبهات خارجة عن سلطة ممثلي البايلك، فكانت أكثر استقلالية من غيرها من القبائل الخاضعة والتي كانت تدفع الضرائب[37].

III. علاقة السلطة الحاكمة بالسكان

لقد تحكمت العلاقة بين السكان في المدن والريف وبين السلطة المتحكمة في الجهاز الإداري فالتعامل مع المدن كان يقوم على مبدأ التفاضل في الامتيازات حيث تحتل طائفة التركية المكانة المفضلة وعلى الالتزام بالخدمات التي كان يقع أغلبها على كامل الإعراب (البرانية،

والأسرى والعبيد) بينها الخضر والأندلسيون واليهود كانوا يخضعون ببعض الامتيازات مقابل بعض المهام الموكلة إليهم. (38)

أما في الريف فقد كانت العلاقة في أساسها تعتمد على التحكم عشائر المخزن وتبعية جماعات الرعية وعلى التعامل يخضع للظروف مع القبائل الممتنعة أو المتعاونة سواء عن طريق تبادل المنافع أو محاولة قرض التبعية بالقوة هذا ومرد الاختلاف في هذه العلاقات بين السلطة والسكان يعود إلى تصرف المؤسسة العسكرية وعلى تطبيق الإجراءات الإدارية التي يس في مقدورها الاستغناء عن العنصر التركي الذي يقوم عليه النظام الحكم في أساسه كما ليس في استطاعتها عدم الالتحاء إلى فرسان المخزن لكونهم حلقة الوصل والأداة الفعالة لبسط نفوذ الحكام على للرعية.

ونتيجة لتعامل السلطة مع السكان بهذه الطريقة وعجز هؤلاء عن دفع الضرائب الثقيلة التجئوا إلى العديد من الثورات.

الخلاصة :

في ختام هذه المحاضرة يمكن أن **نستخلص** ما يلي:

- أن الأوضاع الاجتماعية في الجزائر لقد عرفت تغييرهما المدينة والريف حيث كانت تتمتع بتنوع الفئات السكانية التي يتشكل منها المجتمع الجزائري.

-عرفت تقسيم حسب كل طبقة ومكانتها في المجتمع بحيث أن العلاقات بين مختلف الفئات كانت تحكمها المصالح المشتركة والتي كانت مبنية على أساس الأهداف المادية والمكانة السياسية بالدرجة الأولى خاصة في المدن أما في الريف فكان أكثر تجانسا من حيث تركيبته البشرية.

الهوامش:

1- محمد محمود سلوان رشيد ، محمد المشهجاني، أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي 1518، 1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلد5، العدد 16، نيسان 2013، جمادي الآخر 1434هـ، جامعة تكرت.

2- سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1891، ج1، ص 133.

3- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 356.

4- بوبكر هشام، عياش بلقاسم، جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية دراسة سيسوتاريخية للجماعات السكانية الحضارية المكونة للمجتمع الجزائري، مجلة آفاق العلوم، العدد 7، جامعة الجلفة، مارس 2017، ص 153.

5- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ص 153.

6- عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1976، ص 268.

7- سعيدوني ناصر الدين ومهدي عبد الله، الجزائر في تاريخ العثماني المؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر، 1984، ص 92.

8- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص 74.

9- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، المرجع السابق، ص 75.

10- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 94.

11- أبي راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، در، تح: محمد بوركية، الجزائر، 2011، ج1، ص 36.

12- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تع، تق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م، ص 84.

13- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 96.

14- جون وولف، الجزائر وأوربا (1500-1830م)، تر، تع: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 163.

15- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 155.

16- عبد القادر بالغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، وهران، 2014، ص 124.

17- ليلى تيتة، تطور البنية الاجتماعية المجتمع الجزائريين خلال القرن 19، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، العدد 17، 2014، ص 124.

18- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، مليانة، المدية)، ط2، وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص 124.

19- محمد محمود سلوان رشيد، محمد المستهداني، المرجع السابق، ص 426.

20- زوليخة إسماعيلي المولودة علواش، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال دار أنفو للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013، ص 328.

21- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى غاية 1962م)، دار المعرفة، ج1، الجزائر، 2006، ص 214.

22- المرجع نفسه، ص 215.

23- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 359.

24- ليلى تينة، المرجع السابق، ص 135.

25- هشام أبو بكر، عياش بلقاسم، جوانب من الحياة الديموغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية (دراسة سيسوتاريخية للجماعات السكانية الحضارية المكونة للمجتمع الجزائري)، مجلة آفاق العلوم، العدد 7، جامعة الجلفة، مارس، 2017، ص ص 293-294.

26- سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر: أبو العبد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 155.

27- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 100.

28- زوليخة سماعيلي، المرجع السابق، ص 344.

29- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 143.

30- حنيفي هلالي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص174.

31- كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر أواخر العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، المشرف: دحو فغرور، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة معسكر، 2007-2008، ص ص 34-35.

32- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 105-106.

33- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص ص236-239.

34- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ...، المرجع السابق، ص107.

35- صالح عباد، المرجع السابق، ص367.

36- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، التاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص252

37- ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر(دار السلطان) أواخر العهد العثماني(1791-1830) البصائر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 126.

38- ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص131.

المحاضرة الثانية :

التنظيم السياسي للجزائر خلال العهد العثماني

مقدمــة

I. مراحل الحكم العثماني في الجزائر

II. التنظيم العشائري للقبائل

التنظيم السيــاسي للجزائر خلال العــهد العثماني

المقدمــة

بعد أن خضعت الجزائر بفضل الإخوة بربروس للحكم العثماني أصبحت تدار باعتبارها ولاية من ولايات الدولة العثمانية مترامية الأطراف فكان يحكمها واليا برتبة باشا يعينه السلطان لمدة تتراوح بين سنة و ثلاث سنوات ،وقد كان الوالي يقوم بإدارة شؤون البلاد بمساعدة ديوان خاص يظم عدد من كبار الموظفين وقيادات الجيش ،ويتمتع بسلطة واسعة باعتباره ممثل السلطان ،لا يحدها إلا نفوذ أوجاق الانكشارية الذين يسهرون على مصالح الأقلية التركية العثمانية [39]،تميزت الحياة السياسية في الجزائر مع مطلع القرن السادس عشر بعدم الاستقرار وتوالي عدة أنماط من الحكم على السلطة ويرجع هذا إلى طبيعة الوجود العثماني ، كان حكام الجزائر بعيدين عن فكرة التمرد عن إرادة السلطان العثماني ، لكن التحول الذي حدث في طبيعة العلاقات الأوربية في نهاية القرن السادس عشر كان وراء ازدياد الضعف العثماني ونتج عن هذا التطور ضعف الروابط بين نيابة الجزائر والسلطة العثمانية ،حتى أصبحت الجزائر شبه جمهورية عسكرية ، ومما زاد في استقلال الجزائر أن أصبح الدايات يعتبرون أنفسهم كخلفاء للباب العالي فقط ، وأصبح ممثلو الدول الأوربية في الجزائر يتجاهلون السلطة العثمانية .

I. مراحل الحكم العثماني في الجزائر

1- مرحلة البيلربايات (1519-1587)

كان خير الدين أول من عينته الدولة العثمانية ممثلا لها في أيالة الجزائر سنة 1518 وكانت تطمح من خلاله إلى توسيع نفوذها على كامل المغرب وقد عينته سنة 1534 واليا على كل المغرب وتريد منه ضم جميع بلدان المغرب وظلت تعين عليها ولاة إلى غاية وفاة العلج علي سنة 1587 وكانت هذه الفترة من أزهى فترات الحكم العثماني في الجزائر والمغرب من حيث النشاط والتوسع وتميز هذا العهد بكثافة الغارات الاسبانية والتصدي لغارات ملوك السعديين على الغرب الجزائري ، و في شهر جوان 1587 توفي علي وخلفه مراد الثالث وألغي نظام البايلربايات

ووقعت الدولة العثمانية معاهدة مع اسبانيا سنة 1580 وزادت الشكوك حول استقلال الجزائر عن سلطتها .[40]

2- مرحلة الباشوات (1587-1659)

لجأت الدولة العثمانية إلى تعيين باشاوات يديرون الايالة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد إذا قدم الباشا هدايا كبيرة للباب العالي فاهتمام الباشاوات انصب على توفير الهدايا للموظفين الكبار في القسطنطينية ،بدل اهتمامهم بشؤون الرعية .ودعم هذا النظام طائفة الانكشارية على رياس البحر لما لها من دور في تنشيط التجارة ، وكان عهدهم عهد ركود من حيث التوسع وعهد اضطرابات نتيجة تنامي نفوذ الانكشارية وضعف سلطة الحكام الموفدين من السلطة العثمانية ، كما كان عهد تمردات وانتفاضات أخطرها انتفاضة الناحية الشرقية من الأيالة في عهد الباشا الأول دالي أحمد حيث أرسله السلطان الى طرابلس للقضاء على اضطرابات نشبت فيها فقتل هناك سنة 1589 فخلفه خضر باشا وشهدت فترته توسع وازدهار الجهاد البحري .

3- مرحلة الأغوات (1659-1671)

تمكن قادة الجيش من الاستيلاء على الحكم تدريجيا عن طريق مجلس الأوجاق الذي يرأسه عادة أحد الأغوات ويعتبر نظام الأغوات نوع لإيجاد الثورات والديمقراطية داخل مختلف أجنحة المؤسسة العسكرية المسيطرة على السلطة ويعتبر هذا العهد تسلط الجيش على الحكم ويعود السبب في قيام حكم الأغوات إلى سياسة الباشاوات المالية ، وكان نظام الأغوات يحمل نقاط ضعف كثيرة منها : أن الجند كل شهرين ينتخبون آغا جديد بحسب الأقدمية وذا رغب بالاحتفاظ بالسلطة تعرض لثورة جند آخرين وقتل وأصبح القتل الإجراء الوحيد لتغيير الأغوات .

وفي هذا العهد وعلى المستوى الخارجي توترت العلاقات مع فرنسا ،وأخفق قادة لأغوات إخفاقا كبيرا في إرساء قواعد نظام جديد وعجزوا عن تحقيق الاستقرار، وتميز عهدهم براقة الدماء والفوضى وبعد تجربة الجمهورية العسكرية آلت السلطة إلى طائفة رياس البحر القوة المحلية المنافسة للإنكشارية وظروف الانتقال غير واضحة ، فالبعض يقول أن الجيش الانكشاري أدرك

خطورة الوضع السياسي وتأزم الأوضاع انسحب تلقائيا فاسحا المجال لرياس البحر ، والبعض يقول إن طائفة الرياس اغتنمت الوضع المتردي واستولت على السلطة .

4- مرحلة الدايات (1671-1830)

تسلم الدايات السلطة منذ 1671،عندما حلت السلطة زعماء الطائفة محل الأغوات واستمر انتخاب الدايات من قبل الطائفة حتى سنة 1689 وفي عهدهم نشطت البحرية الجزائرية مما أدى إلى قيام عمليات انتقامية أوربية ورغم مظاهر القوة والنفوذ التي اتصفت بها فترة الدايات إلا ن العلاقة مع الباب العالي ضعفت وكانت سلطة الداي مطلقة .

وفي هذه الفترة كانت معظم نهاية الحكام بالاغتيال على يد الجند والداي الوحي الذي كانت وفاته طبيعية هو الداي علي باشا رغم صرامته مع الجند ورغم حالة عدم الاستقرار إلا أن الديات استعادوا هيبة الحكم ومن أمثالهم (الحاج علي باشا 1809-1815)، والداي علي خوجة (1817-1818) والداي حسين (1818-1830) [41]

II. التنظيم العشائري للقبائل :

1- قبائل المخزن

عرفها المزاري بأن المخزن هو الناصر للدولة كيفما كانت وحيث ما جدت وتملكت ،وبالنسبة إلى مخزني مخازني مفرد مخزنة في تحقيق المباني ويسمى بذالك لأنه يخزن فيه ما يؤمن به إلى وقت لاحق ،ويذهب سعيدوني إلى أنها مجموعة سكانية تعميرية لها صبغة فلاحية عسكرية وإدارية استمدت منها تماسكها وأصبحت تتميز عن القبائل الأخرى .

2- قبائل الرعية

تتألف من مجموعات سكانية خاضعة مباشرة للسلطة العثمانية ومقيمة بالدواوير والمداشر ، معقدة التنظيم لاختلافها عن القبائل الأخرى فهناك من كان خاضعا لشيوخ القبائل ومنها ما هو خاضع لقبائل المخزن ومنها ما كان خاضعا لخوجة الخيل وآغا العرب بحسب حاجة الانتفاع من خيراتها وخدماتها.

3- **القبائل المتحالفة**

هي تلك القبائل التي تتحالف مع البايلك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها بحكم النفوذ الديني وكفاءتهم الحربية أو نسبهم الشريف مثل عائلة المرابطين والطابع الحربي في جنوب التيطري مثل قبائل الأجواد ، ومنطقة جرجرة جبال البابور إلى عائلة الأشراف .

4- **القبائل الممتنعة :**

هي مجموعة القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب وساعدها على ذالك موقعها الجغرافي وتضاريسها وكذا بعدها عن مركز الإدارة وطبيعة نشاطها الاقتصادي إذ تعتبر أراضيها من أفقر الأراضي فاقتصر نشاطها على تربية المواشي والتجارة واقتصادها ضعيف لايلبي حاجياتها اليومية .

5- **المرابطون :**

انتشرت هذه الفئة منذ القرن الخامس عشر بالأرياف وتواصل هذا الانتشار بقوة في العهد العثماني حيث بلغ عدد العائلات المرابطة حوالي 185 عائلة سنة 1830 وكانت قوة هؤلاء المرابطين ورجال الطرق في استعمالهم الدين كوسيلة والجميع يخشاهم من الأفراد العاديين ورجال السلطة من الأتراك ويتنقلون على طول البلاد وعرضها دون الخوف من هجمات اللصوص وقطاع الطرق عليهم .[42]

الهوامش :

39- امين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1671/1659) البصائر الجديدة للنشر والتوزيع ص 19.

40- عائشة غطاس ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، ص48

41- صالح عباد ،الجزائر خلال الحكم التركي(1830/1519) دار هومة 2012 ، ص 61

42- حنيفي هلايلي ،أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،دار المهدي عين مليلة ،الجزائر ، ط 1 ،2008 ،ص 130

المحاضرة الثالثة :

التنظيم العسكري للجزائر خلال العهد العثماني

مقدمة

I. تنظيم الجيش

II. تنظيم الرتب

أولا: الجيش الانكشاري

ثانيا :الجيش البحري (رياس البحر)

التنظيم العسكـــــري للجـزائر خلال العـهد العثماني

المقدمة

تشكل المؤسسة العسكرية بفرعيها البري والبحري العمود الفقري الذي يقوم عليه الحكم العثماني بالجزائر، وأهم قوة لتثبيت أركان الدولة ومواجهة الأخطار الخارجية وعامل منع وأملا باستتباب الامن الداخلي، خاصة وإن عرفنا أن التشكيلات العسكرية لاتختلف في تنظيمها لما عليه من مقرالسلطنة باسطنبول، لما تتمتع به من كفاءة حربية وتنظيم دقيق وصارم، فأصبحت الجزائر من خلالها سيدة البحرالمتوسط وقلعة الجهاد في مجابهة المد الصليبي في شمال إفريقيا.

I. تنظيم الجيش

يتشكل الجيش العثماني بالجزائر من قسمين قسم يمثله الجيش النظامي، وأخر غير نظامي يتألف من أفراد قبائل المخزن وزواوةو الكراغلة، ويتفرع القسم الأول إلى **ثلاث فرق** هي :

1- فرقة المشاة: وهي الأكبر عددا وتضم معظم المجندين للخدمة العسكرية، وقد أطلقعليها اسم " انكشارية" أو"الينجرية "وتقسم إلى كتائب وفرق ووحدات وفصائل

2- الفرسان: (الخيالة) تتكون من الكراغلة، وقبائل العرب.

3- البحارة: وهم نخبة من العزاب""زبنطوط" يتكونون غالبا من ألف رجل فما فوق وأغلبهم من المسيحيين المعتنقين الإسلام

4-المدفعيون: وهم الذين يقومون بتلقيم المدافع، وإطلاق النار على العدو وقد تطورتنوعية المدافع المستعملة في عهد الدايات وكانت خدمة الجيش مرتبة على **ثلاث مراحل سنويا:**

- **العام الأول:** لحماية بلدان المدنية، وهي النوبة.
- **العام الثاني:** لخدمة المعسكرات أو المشاركة في الحملات العسكرية لجمع الضرائب،أو تأديب العصاة.
- **العام الثالث:** وهي سنة للراحة وتكون كلها تحت رئاسة الأغا والكاهية والبولوكباشي والأوضاباشي والوكيل.

II. تنظيم الرتب :

تنقسم أوجاق الجزائر إلى عدد من الكتائب والأورطة التي يبلغ عددها 3424والتي تنقسم بدورها إلى عدد من السفرات والسفرة هي الفرقة المشكلة في الغالب من 16جندي، منهم وكيل الحرج والمقتصد والأتشي الطباخ.ويتم التدرج في الرتب العسكرية على مبدأ المساواة والأقدمية من رتبة اليولداش البسيطإلى أعلى منصب وهو الأغا ،وكانت الخدمة في كل رتبة تقتضي ثلاث سنوات تقضى بالتسلسل التالي :

- يولداش: الجندي البسيط ،وهي كلمة تركية مركبة من كلمتين، يول تعني الطريق، وداش تعني الرفيق أي رفيق الطريق وهي أدنى رتبة في الجيش الإنكشاري وكان
- اليولداش يمثلون الأغلبية العظمى من أفراد الجيش النظامي.
- أصكييولداش: أي الجندي القديم الذي يعمل ثلاث سنوات.

أولا: الجيش الانكشاري

أ- **مهام الجيش الانكشاري**

تتمثل مهام الجيش في الدفاع عن حدود البلاد من الأخطار الخارجية، والسهر على ضمان الاستقرار الداخلي بإخماد حركات التمرد والعصيان المدني، كما كان له دور اقتصادي هام يتمثل في جمع الضرائب خاصة في المناطق الريفية فقد كانت المحلات توجه لضمان تحصيل الضرائب في البياليك. إلى جانب ذلك نجد النوبة التي هي فرق من الجيش الإنكشاري تقوم بحراسة الحصون والقلاع والأبراج وفي نهاية الحياة العملية للإنكشارية يتحول في أغلب الأحيان إلى الأعمال الإدارية التي قد يصل من خلالها إلى أعلى المناصب السياسية في الدولة[43]

وبعدما كان الجيش مهمته الأساسية في العهود الأولى هي الدفاع عن البلاد والمحافظة على الأمن بوازع ديني بحت أصبح منبعا للفوضى والقلق.

ب-**الثكنات العسكرية:**

هي المؤسسة التي تأوي الجنود ، فكل الثكنات أو القشلة كانت توجد بمدينة الجزائر فقط، أما في المدن الأخرى فإنها عبارة عن أبراج تقيم بها الحاميات العسكرية، ويكون عدد الأجناد بها

يتجاوز مائة جندي،ولدى وصول الجنود إلى الجزائر يوزعون على مختلف ثكنات المدينة، يكونون تحت إشراف قادتهم على غرف تحمل رقما، في مساكن خاصة بهم واسعة ونظيفة، وصغار السن من بينهم لم يكن يسمح لهم بالخروج باستثناء أيام الخميس تحت مراقبة الحرس، وكان الجنود العزاب يعيشون في الثكنات مع إمام يؤدي الصلاة بالجنود في أوقات معلومة وكأنه الأخر يعيش في الثكنة ماعدا المتزوجون منهم يعيشون في بيوتهم، وتوجد بمدينة الجزائر سبع قشلات (ثكنات) وهي:قشلة باب عزون وقشلة صالح باشا وقشلة علي باشا والتي تعرف بقشلة دارالخراطين وقشلة (إسكي) والقشلة الجديدة يكي، والغالب على الثكنات بالجزائر النمط الهندسي المعماري ذي الطابع العثماني المكون من طابقين أرضي وعلوي، تتوسط الثكنة العديد من الأسبلة المائية.

ج- الكراغلة

تكونت تلك الشريحة نتيجة زواج أفراد من الجيش الإنكشاري بالنساء الجزائريات، وظهرت تلك الطبقة للمرة الأولى في المدن التي تمركزت بها الحاميات العسكرية، وقد تكاثر عدد أفراد الكراغلة حتى بلغ في نهاية ق18م في مدينة الجزائر حوالي 600نسمة وبلغ عددهم في مدينة تلمسان حوالي 500شخص، ورغم اشتراك الكراغلة مع الأتراك في الأصل إلا أنهم أبعدوا عن المهام الكبرى خوفا من سيطرتهم على شؤون البلاد، بحكم قرابتهم من الأهالي وارتباطهم بالبلاد، لذلك كانوا يثيرون الاعتراضات والمشاكل بسبب حرمانهم من امتيازات الأوجاق، وقد قاموا بعدة ثورات وصدر حق بنفيهم من المدينة الجزائر إثر قيامهم بحركة التمرد في النصف الأول من ق17م إلا أنهم دخلوا في صفوف الأوجاق عندما ضعفت حركة التجنيد من أراضي السلطنة

هـ- قبائل المخزن:

يعود تكوين قبائل المخزن إلى عهد خير الدين الذي حاول أن يجعل له قوات عسكرية ثابتة يستطيع أن يعتمد عليها والتي كان لها نفوذ على المنطقة، وكانت مهمتها الدفاع عن حدود الإيالة ، والمساهمة في استتباب الأمن الداخلي، كما كانت تمتاز بالكفاءة الحربية، ومقابل هذا العمل كان لقبائل المخزن امتيازات منها: أنهم معفون من الضرائب اللّازمة(التي يلزم بها غيرها

، بيد أنهم يخدمون الدولة ببضع الخدمات العسكرية والإدارية، من حيث جمع الضرائب، ولعل الطبيعة الاصطناعية لعساكر الخزن بالجزائر في العهد العثماني تتأكد من خلال التسميات الجديدة والألقاب التي استمدتها من خدماتها للمخزن التركي مثل مخزن الزواتنة الذين سموا بذلك لاستقرارهم على ضفتي وادي الزيتون جنوب شرقي الجزائر العاصمة، و مخزن المكاحلية الذي عرف بذلك لاستخدام فرسانهم للمكحلة وهي سلاح ناري، واتخذوا أيضا الدوائر وهم فرسان من العرب "خيالة" والزمول وكان زمالة قائد يسمى أغا العرب ويقول عنهم محمد بن ميمون الجزائري في قوله:)أما الزمالة، فهم أناس مشردين من أوطانهم إلى الحدود الجزائرية فسمح لهم الباشا بالمكوث هناك شريطة أن يمدوه بمشاة الجنود، وفرسان الخيول، إن اقتضت الحاجة إلى ذلك وهو يحميهم ممن يتقفى أثرهم.)وكانت قبائل المخزن في بايلك قسنطينة تدعم قوات البايلك بـ 22000من المشاة و 230000من الفرسان الخيالة وينتمون إلى فئات ثلاث: المليشيا، والزمول، ودائرة المخزن.

و- فرق الزواوة

يعود تأسيس فرقة زواوة إلى حسن باشا بن خير الدين الذي شكل منهم فرقة عسكرية، وعهد إليهم أمر المحافظة على المدينة للحد من نفوذ الإنكشارية وتستدعي فرقة زواوة للانضمام إلى الجيش الإنكشاري في حالات خاصة لإخماد الثورات أو المشاركة ضد الهجمات الخارجية على الجزائر، وليس لجباية الضرائب وكانت تمول بالذخيرة الحربية من قبل السلطة الحاكمة، عند انطلاق الحملة إلا أن قيمة الذخيرة تقطع من أجرة الجندي ، فبعد نقص توافد الجنود المتطوعين من المشرق أصبح عدد الإنكشارية قليل بالنسبة إلى مساحة البلاد، سعت من خلال ذلك الجزائر لاتخاذ مسلك ناجح لسد هذه الثغرة باتخاذ فرقة الزواوة كحلفاء في الحملات الكثيرة الداخلية أثناء الغارات الإسبانية على السواحل الجزائرية وفي القرن 16م كان الباشاوات يستعملون بصفة منتظمة الفرسان من الأهالي كجنود احتياطيين[44]

II. الجيش البحري(رياس البحر)

لقد اهتمت الايالة الجزائرية بالجوانب العسكرية المختلفة مثلما نظمت جيشها البري وأولته العناية المميزة فقد كست أيضا اهتمامها بالجيش البحري والأسطول الذي كان يمثل سيادة الدولة ومحور قوة الجزائر العسكرية والسياسية في البحر الأبيض المتوسط وكان يشرف إداريا على البحرية وكان يرأسها وكيل الخرج وقد كان من ابرز الضباط في الجيش ومن جهة أخرى من الضباط الذين كانوا يأتون بعد وكيل وهو القائد الأعلى للأسطول البحري عند خروجه من الميناء إلى عرض البحر ثم يأتي بعده قائد الميناء كانت له في الايالة سفينة خاصة به يجوب بها المياه الإقليمية في مدينة الجزائر ليراقب شواطئها التي تدخل وتخرج منها ومن وظائف البحرية الأخرى واردیان باشي والذي يعتبر من ابرز الموظفين في البحرية و الجزائرية رياس البحر وهم رجال البحر الذين كانوا طليعة التدخل العثماني وكانوا يتألفون أساسا من الرياس مالكي السفن وكذلك البحارة وعمال الصيانة كالنجارين والجلافة وكان لهذه الطائفة دورا أساسيا في مصير هذه الايالة.

كانت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية غنية المشارب يوحدها الجهاد في سبيل الله.

وقد تكونت من خليط من العناصر المحلية يضاف إليهم بحارة من المشرق الإسلامي وآخرون قدموا من الأندلس وأعلاج أوروبا الذين دخلوا الإسلام .

وكان الشرط الضروري للانخراط في السلك البحرية الجزائرية اعتناق الإسلام، ويطلق على أولئك الذين يغيرون دينهم ويعتنقون الإسلام معظمهم من الأسرى اسم "العلوج"،وكانوا يتمتعون بجميع الحقوق التي يتمتع بها العثمانيون، وقد بلغ عدد الأعلاج المنتسبين إلى طائفة الرياس إلى 22علجا في ق16م ،وساعدتهم المعارف والمهارات المختلفة التي يتمتعون بها على اعتلاء المناصب الإدارية والعسكرية ومن أشهر الأعلاج نذكر: حسن أغا بن خير الدين بالتبني وعلج علي حسن فنزيانو، وحسن قورصو.....،

ورغم أصولهم المختلفة: إغريق، إسبان، مايورقيون، نابوليتاني ونكورسيكيون، سردانيون، فرنسيون، إنجليز، هولنديون، إلا أنهم كانوا يشكلون حوالي ثلثي الشخصيات القيادية في

الأسطول الجزائري، ومن أشهر رياس البحر في ق 16م عروج وخير الدين بربروس، درغوث رايس، وعلج علي وهؤلاء الرجال هم الذين أنشئوا إيالات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وأعطوها أشكالها السياسية والعسكرية

أ- تنظيم طائفة الرياس:

تحكمت طائفة الرياس منذ تواجدها في الجزائر بطريقة شديدة التنظيم من حيث التوظيف والتنظيم والتمويل والعمليات الحربية ولم تكن هذه الطائفة خاضعة خضوعا تاما للنظام الإداري بل كان لها حكم خاص، فهي بمثابة النقابة لربابنة البحر، كما كانت تتمتع بمحبة تامة واحترام كبير لدى الشعب وقد فتح الحكام الأبواب لكل من يرغب في الانضمام إلى البحرية الجزائرية شرطان يكون قد اعتنق الإسلام، وكان الوصول إلى المراتب العليا أمرا صعبا إذ يجب على البحار البسيط أن يتحلى بشجاعة كبيرة ومهارة عالية في إتقان فنون البحرية وكانت طائفة الرياس هي التي تنتخب أميرال الأسطول الذي كان في الغالب أغنى أعضاء الطائفة وأفضل تدريب على الفنون البحرية، في إتقان استعمال المدفعية.

أولا : طاقم السفن والمراكب

لقد كانت السفن الجزائرية ولا سميا الكبيرة منها تضم طاقما معتبرا يتكون من ثلاث مجموعات رئيسية وهي:

1- مجموعة القيادة:

وتضم الهيئة ضباط السفينة وهم :القبطان رايس وهو قائد السفينة، وباش رايس وهونائب القبطان، وصوصو رايس نائب ثاني، ورايس العسة أو الورديان: وهو مفتش المركب، والمشرف على صيانته، الخوجة وهو كاتب السفينة، وباش جراح، ورايس الطريق وهو قبطان الغنائم، والإمام المكلف بتطبيق شعائر الإسلام وترتيل القرآن على البحارة ورئيس المدفعين ...

2- مجموعة المناورة :

التي كانت تضم ربابنة السفينة وهم اليرقان جيو الغادر هو كابو والبريتاجي، وهو من يتولون أمر الأشرعة في السفن الثلاثية الصواري والدمانجي[45]صلاح الدقة، والصندل رايس،

رايس القارب، والمسترداش، معلم نجار، والقلفاط، الذي يسهر على بدن السفينة .

3- المجموعة القتالية :

تتكون أساسا من بعض وحدات الإنكشارية تحت قيادة أغا

الخلاصة :

في ختام هذه المحاضرة يمكن أن **نستخلص** ما يلي

- إن التنظيم العسكري بالجزائر خلال العهد العثماني كان يسير وفق قوانين مضبوطة وخاصة وهذا ما أعطى لها طابعا حكوميا جعلت من الجزائر سيدة المتوسط وقوة قاهرة ومحل رعب ورهبة للأمم والشعوب المسيحية لمدة تزيد عن ثلاثة قرون.

- أن النواة الأولى للجيش الجزائري كانت بحرية ويعتبر خير الدين اول من وضع أساسها.

- كانت الإنكشارية احد العناصر الأساسية لتثبيت أركان الدولة العثمانية ومصد قوة لها أصبحت محل فوضى وشغب لما ترتكبه من ظلم ضد السكان وتورطها في المؤامرات وقتل الحكام مما أدى بهم في نهاية المطاف إلى القضاء عليهم على يد الداي علي خوجة

الهوامش

43- حنيفي هلايلي: التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للنشر والتوزيع، ص 253.

44- شويتام أرزقي: دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترةالعثمانية) 1519م-1830م(، ط ،1دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010م ص 18

45- حنيفي هلايلي : بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط ،1دار الهدى،الجزائر، 2007م ص 135

المحاضرة الرابعة :

التنظيم لاقتصادي في الجزائر خلال العهد العثماني

المقدمة

I. **التنظيم الزراعي في الجزائر أثناء العهد العثماني**

II. **التنظيم الصناعي في الجزائر أثناء العهد العثماني**

III. **التنظيم التجاري في الجزائر أثناء العهد العثماني**

التنظيم الاقتصـــادي في الجـزائر خلال العهـــد العثماني

المقدمة

ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية منذ سنة 1515م بعدما ألحقت رسميا بإسطنبول، وبموجب ذلك تم تعيين خير الدين كأول حاكم عثماني للجزائر، وبذلك شكلت مرحلة التواجد العثماني في الجزائر والتي فاقت ثلاث قرون مرحلة تاريخية هامة لما حملته من أحداث وتطورات في مختلف الجوانب وبخاصة الجانب الاقتصادي، و لقد ساعد على ذلك تعدد الفئات الاجتماعية ولاسيما و أن كل فئة من هذه الفئات اختصت في تنظيم اقتصادي معين وكان وراء اختيارنا لهذا الموضوع ميولنا الشخصي لدراسة الجانب الاقتصادي للمجتمع الجزائري في الفترة العثمانية بالإضافة لذلك الرغبة في معرفة طبيعة النشاط الاقتصادي الذي كانت تمارسه هذه الفئات الاجتماعية

I. التنظيم الزراعي في الجزائر خلال العهد العثماني

أولا : نظام ملكية الأراضي

1-الملكية الخاصة:

يستغلها أصحابها مباشرة، ولا يتوجب عليهم إزاء الدولة سوى فريضتا العشر والزكاة وقد كان هذا النوع من الملكية منتشرا في المناطق الجبلية مثل منطقة الأوراس والقبائل، كما أن هناك بعض الحضر الذين يملكون بعض الأجنة والأحواش بضواحي المدن التي كانوا يستغلونها بواسطة الخماسين[46]

2- ملكية الدولة أو البايلك:

هي الأراضي التابعة للدولة وتسمى بالعزل، وغالبا ما كانت تصادر من القبائل الثائرة ويحق للحكام التصرف فيها، و أغلبها تم إلحاقها بسجل البايلك عن طريق المصادرة والشراء، وأغلب أراضي البايلك توجد بمنطقة دار السلطان وجهات وهران وقسنطينة.

3-الملكية المشاعة:

هي أراضي العرش التي يستغلها كافة أفراد القبيلة كل حسب طاقته وتعرف بالسبيقة في الناحية الوهرانية وبالعرش في جهات الجزائر الوسطى والشرقية.

4- أراضي الوقف :

هي الأراضي التي حبست للإنفاق على الأعمال الخيرية والمؤسسات الدينية، وأوكل التصرف فيها لناظر الأوقاف ومساعديه.

5-الأراضي الموات :

وهي الأراضي التي تركت بدون استغلال أو التي كانت غير صالحة للفلاحة[47]

ثانيا:المحاصيل الزراعية:

لقد ساعد تنوع التضاريس والمناخ وخصوبة التربة على وفرة كل أنواع المحاصيل الزراعية فكانت كل منطقة مختصة في إنتاج أنواع معينة من المحاصيل الزراعية.

ومن بين هذه **المنتجات الزراعية نذكر:**

1- زراعة الحبوب :

كان القمح يأتي على رأس المحاصيل الزراعية في الجزائر، لأنه كان يمثل على شكل خبز أو كسكسي المصدر الأساسي لغذاء السكان، وقد اختلفت نوعيتها من جهة إلى أخرى، إذ كانت مناطق الأطلس التلي والهضاب الداخلية تنتج نوعا جيدا منها يعرف بالبليوتي أو القمح الصلب، أما المناطق الساحلية وبعض السهول المنخفضة فكانت تنتج قمحا منحط النوعية، وذلك لنوعية التربة وارتفاع الرطوبة ونسبة التساقط ولقد كان مردود القمح يتراوح ما بين ثمانية واثنا عشر قنطارا في الهكتار الواحد، أما الشعير فكان يزرع في الأراضي الأقل جودة، ويصل مردوده إلى تسعة عشر قنطارا تقريبا ولقد كانت زراعة الحبوب تنتشر حول مدينة قسنطينة وفي جهات غريس وقلعة بني راشد ومستغانم وتلمسان والتيطري والهضاب العليا بقسنطينة.

2-الأشجار المثمرة :

كالتين والزيتون والبرتقال والعنب والخوخ وحب الملوك "الكرز "والمشمش وغيرها تحسنت زراعتها بفضل جهود الأندلسيين، حيث اشتهرت نواحي برشك بإنتاج نوع جيد من التين، واختصت فحوص شرشال والقليعة بزراعة التوت الأبيض والأسود الذي يستعمل لتغذية دودة الحرير، وانتشرت مزارع البرتقال وحقول العنب حول البليدة والجزائر، وانتشرت زراعة الزيتون بنواحي عنابة .

3-الزراعات الأخرى:

تشمل شتى أنواع الخضروات والبقول كالبصل والثوم واللفت والجزر واللوبيا والخيار والسلاطة والبطاطا والبطيخ والدلاع والفقوس والباذنجان والبسباس، وتمارس فلاحتها بصفة مكثفة في أحواض الأودية والبساتين المسقية على الساحل، وفي المناطق الداخلية والجبلية، وفي الواحات الصحراوية ذات الموارد المائية الكافية . بالإضافة إلى المنتجات الزراعية الصناعية كالقطن والكتان والعسل والشمع والتبغ

ثالثا :تربية الحيوانات (الثروة الحيوانية)

توجه أغلب السكان إلى تربية الحيوانات لأنها حرفة تلائم عدم الاستقرار، وتمكن أهل الريف من التهرب من الضرائب الفادحة التي كان يفرضها الأتراك على المزارعين، وتتمثل هذه الحيوانات في الأغنام والأبقار والماعز والخيول والإبل والنحل، حيث كان عدد الأغنام يصل أحيانا إلى سبعة أو ثمانية ملايين رأس مما يدل على أن البلاد كانت تنتج كميات كبيرة من اللحوم والأصواف والجلود أما الأبقار فقد شكلت المصدر الرئيسي لرأس مال الأهالي لأنهم لا يستهلكون في الغالب إلا الأغنام، فحين امتازت بعض المناطق بتأصيل الخيول مثل قبائل بني اليعقوبية وبني أنجاد وسكان جنوب وهران وسهول وادي الشلف، فضلا عن الإبل التي كانت متوفرة في الجنوب، وكانت تنتج الوبر الذي تصنع منه الخيام وبعض الملابس المحلية كالبرنوس والقشبية، والماعز التي كانت ترعى في الجبال الوعرة والتضاريس والهضاب العليا

II. التنظيم الصناعي في الجزائر خلال العهد العثماني:

1- الصناعة الحربية والتحويلية:

من الصناعات الحربية الأكثر رواجا هي صناعة السفن التي شجع عليها نشاط البحرية الجزائرية وتطور عمليات الغزو البحري، وقد كانت أغلب مراسي الجزائر تتوفر على ترسانات مجهزة لصنع السفن و القوارب وأهمها مراسي الجزائر وشرشال وجيجل وعنابة ولم تكن صناعة السفن مقصورة على نوع واحد بل تعددت أنواعها وأشكالها، فجزء منها كان يصنع في الموانئ الجزائرية أو يتم الاستيلاء عليه في عرض البحر من الأعداء، والجزء الآخر يشترى من الخارج أو في شكل هدايا من الدول الإسلامية، وقد أوكلت صناعة السفن للعثمانيين الذين كانوا يستعينون بخبرة الأوربيين الأحرار والأسرى والأندلسيين والأهالي[48]

2- الصناعة النسيجية والجلدية:

تطورت الصناعة النسيجية على أيدي الأندلسيين الذين توارثوا الأساليب الفنية لصناعة الزرابي والأقمشة والشاشية والمخمل "القطيفة، حيث كانت أجود الزرابي تنسج في قلعة بني راشد، في حين اختصت قسنطينة بنسج الحياك أما البرانس فكانت تنسج في قبائل بني عباس وبني عيدل وزمورة وبني ورثيلان، إلا أن أجودها كان ينسج في القبائل الصحراوية، واشتهرت معسكر هي الأخرى بصناعة البرانس السوداء ذات اللون الطبيعي أما القشابية)أو الجلابية فاشتهرت بها منطقة الأوراس والهضاب العليا، وتقوم هذه الصناعة على حرفة الطرز والزخرفة النسيجية بالألوان المختلفة و الصناعات النسيجية أيضا الشالات والمناديل والأحزمة والعمائم والقماش الذي يطرز بالذهب ويرتبط بصناعة النسيج صناعة الملابس والتي اشتهرت بها كل من البليدة ودلس وبوسعادة .

بالإضافة إلى الصناعة النسيجية نجد الصناعة الجلدية، وأبرز منتوجاتها تتمثل في صناعة الأحذية والدباغة حيث كان يوجد 88 مصنع لدباغة الجلود بمدينة قسنطينة و599 معملا للأحذية) ، كما كان يصنع من مادة الجلد محافظ للأوراق والنقود، وكانت محكمة الصنع مطروزة بالذهب والفضة وأيضا يصنع منه لوازم الخيول كالسروج والألجمة

التي عرفت رواجا لدى بعض القبائل لاهتمامها الكبير بتربية الخيول، فهناك قبائل تملك ثلاثمائة أو أربعمائة رأس خيل .

3- الحرف اليدوية والمهن التقليدية:

انتظم أصحاب الحرف بمدينة الجزائر وباقي المدن الجزائرية لاسيما الحواضر التي نالت شهرة عريضة في مجال النشاط الحرفي مثل تلمسان وقسنطينة في جماعات خاصة بهم حيث كانوا يجتمعون في سوق واحد أو شارع واحد، ويشرف عليه مسؤول يسمى الأمين ويزاول مجموع الأمناء نشاطهم تحت سلطة شيخ البلد، ومن **بين أهم الحرف** التي كانت متداولة بشكل كبير نذكر منها:

- **البناؤون** :وهم في أغلبهم من بلاد القبائل.
- **الكلاسون أو البياضة** :وهم الذين يقومون بمهمة طلاء الجدران بالجبس وهم من الزنوج.
- **الصوابنية** : أو صناع الصابون وهم من بلاد القبائل كذلك.
- **الشكامجية** : أو صناع الأسلحة الذين كانوا يصنعون بطاريات وبنادق يستعملون فيها مسورات مستوردة من إيطاليا أو إسبانيا و انجلترا وهذه الصناعة هيمن عليها العنصر الكرغلي
- **الفرانين والجزارين والحمامية** :هم عادة من بني ميزاب.
- **الكواشة أو الخبازون** :هم الذين يصنعون الخبز، وهم من الجماعة الجيجلية.
- **الفكاهين** :الذين يبيعون الخضر والفواكه، وأشرف عليها البسكريون.
- **العطارون** :تولى الإشراف عليها الأسر الشريفية واحتكرتها الأسر البلدية والأسر الوافدة من الحواضر ومارسها اليهود بعد حرفة الصياغة.
- **الحراريون** :هم المختصون في صناعة المنتجات الحريرية، وقد اشتغل بها العنصر الأندلسي من المسلمين واليهود

• **الصياغون** :الذين يصنعون الذهب والفضة والأحجار الكريمة، حيث كانت هذه الصناعة محتكرة من طرف اليهود، وذلك لما توفره لهم من أرباح مادية، وساعدهم فيذلك الأسرى المسيحيون [49].

III. التنظيم التجاري في الجزائر خلال العهد العثماني

أولا : التجارة الداخلية

كانت المبادلات التجارية المحلية بين سكان الأرياف والمدن تنظم داخل أسواق أسبوعية يتم فيها تبادل السلع بالنقود أو المقايضة، ومن أسواق مدينة الجزائر نذكر سوق باب عزون الذي يمتد إلى باب الوادي الذي كانت تميزه أسواق نشطة جدا: السوق الكبير،سوق الخراطين، سوق السمارين وسوق الرحبة سوق الزرع وهناك أيضا سوق آخر يمتد من وسط المدينة نحو المرسى ويشتمل على سوق السمن والقيسارية حيث تباع الكتب ويجتمع الخطاطون.[50]

عرفت الأرياف هي الأخرى حركة تجارية واسعة فمنها الأفقية التي تتم في المناطق الشمالية التلية ومنها العمودية بين القبائل الجنوبية الصحراوية والقبائل التلية، وقد كانت الأسواق الأسبوعية تعقد في مختلف المناطق التلية.

وكانت **أهم تلك الأسواق موزعة على الجهات التالية:**

• **دار السلطان** :كانت الأسواق تقام بها في يوم من أيام الأسبوع في كل القيادات، والمدن التابعة لها مثل البليدة وبوفاريك.

• **بايلك التيطري** :تعقد فيها عدة أسواق منها العذاورة، وأولاد مختار، وأولاد عنان وأهمها سوق الربايع الواقعة جنوب المدية.

• **بايلك قسنطينة** :سوق أولاد عبد النور، والحراكتة، والسقنية، وتلاغمة.

• **بايلك الغرب** :توجد بها عدة أسواق منها الجعفرة بسعيدة، وأولاد عياد وأولاد الأكراد بالشلف، أما منطقة القبائل فاشتهرت بعدد أسواقها التي كانت تعقد في كل أعراشها.

ثانيا: التجارة الخارجية

كانت تتم مع أوروبا عن طريق الموانئ بواسطة الأجانب وعدد قليل من الجزائريين،ومع إفريقيا عن طريق القوافل بواسطة الأهالي وحدهم يساعدهم من حين لآخر جماعة من اليهود وتشمل التجارة الخارجية ما يلي:

1- الصادرات والواردات

اشتهرت الجزائر بإمكانيات اقتصادية متنوعة كانت أوروبا دوما في حاجة إليها، حيث تمثلت صادرات الجزائر في الأصواف والجلود والعسل والشمع والحبوب والزيوت وكل أنواع الخضر والفواكه أما واردات الجزائر فتمثلت في الحبال والحديد والأخشاب والمعدات الحربية من قذائف وبارود وفولاذ ومدافع وأسلحة متنوعة، والتوابل والأرز والسكر والعطور والأمشاط والورق والصابون.

إن مجموع قيمة الواردات بلغت 520110111 دولار اسباني، ومجموع الصادرات بلغت حوالي 298111 دولار اسباني، مما يعني أن الميزان التجاري يشكو كل سنة من عجز قدره 4890111 دولار اسباني سنة 1522.

الخلاصة :

ومن خلال دراستنا لموضوع التنظيم الاقتصادي للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني تمكننا من استخلاص جملة من النتائج وهي كالتالي:

شهدت الجزائر تطورا ملحوظا ومكانة لا بأس بها، إذ كانت الزراعة المورد الاقتصادي الهام لدى غالبية السكان لاسيما سكان الأرياف، إذ كانت الزراعة تقوم على ثلاثة أشكال من الملكية وهي الملكية الخاصة وملكية البايلك والملكية المشاعة، أما فيما يخص المحاصيل الزراعية فقد عرفت تنوعا بفعل التربة الخصبة وتوفر المجاري المائية، ورغم هذا التنوع في المحاصيل الزراعية إلا أنها عرفت في أواخر العهد التركي عدة مشاكل تتعلق أساسا بعدم تحسين الأساليب والتقنيات الزراعية التي كانت أكثر بدائية، والظروف الصعبة التي كان يعيشها الفلاح الجزائري، أما تربية الحيوانات فكان يجري الاهتمام بها بشكل كبير لما تدره على الفلاح والبلاد من ثروة كبيرة أما فيما يخص الصناعة فكانت مكملة للنشاط الفلاحي، حيث اشتهر بعض الصناع بمهارتهم وحنكتهم في معالجة المواد الأولية، مما نتج عنها ظهور العديد من الحرف التي كانت منظمة على شكل هيئات حرفية تعمل على تلبية الحاجيات الضرورية للسكان، حيث اختصت كل فئة من فئات المجتمع في حرفة أو صناع معينة فمثلا اختص الأتراك في صناعة السفن، واليهود في صناعة الحلي والنقود، والأندلسيين في صناعة النسيج والبارود، وسكان القبائل في صناعة الصابون.

أما فيما يخص التجارة فكانت نوعين داخلية تجري داخل المدن بواسطة الأسواق الأسبوعية والسنوية في الأرياف والتجارة الخارجية التي كانت مع معظم الدول العربية والأوروبية مما ساعد على تنوع صادرات وواردات الإيالة التجارية، إلا أنه في أواخر العهد العثماني أصبحت التجارة محتكرة من طرف اليهود[51]، أما فيما يخص التجارة فكانت نوعين داخلية تجري داخل المدن بواسطة الأسواق الأسبوعية والسنوية في الأرياف والتجارة الخارجية التي كانت مع معظم الدول العربية و الأوروبية.

الهوامش :

46- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 ص 91

47- ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر)دار السلطان(أواخر العهد العثماني)1971-5181)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ، ص 529

48- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية- اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2152، ص 22

49- 1يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج5، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر ، ص 15.

50- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2،مكتبة دار الشرق، دمشق، 1979،ص

51- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1972، ص 91

المحاضرة الخامسة :

التنظيم الديني في الجزائر خلال الحكم العثماني بين 16-19م

مقدمة

I. **العلماء في الجزائر خلال العهد العثماني**

II. **العلوم الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني**

III. **المؤسسات الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني**

IV. **التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني**

التنظيم الديني في الجزائر خلال الحكم العثماني بين 16-19م

المقدمـــة

لقد كان للوجود العثماني في إيالة الجزائر العديد من التنظيمات والقوانين التي طبقتها الفئة الحاكمة من العثمانيين في الجزائر وكان لها عديد الآثار والنتائج فيما بعد، ومن بين هته التنظيمات التنظيم الجيني الذي كان ركيزة من ركائز الحكم وذلك للدور البارز الذي كان بين الحكام وعلماء الدين، ولقد كان اختيارنا لهذا الموضوع للدراسة رغبة في فهم هاته البنية التنظيمية الدينية التي كانت تسير الجزائر و إماطة اللثام عنها بمحاولة تقديم الجديد فيها و لو بالقدر القليل وهنا تمحورت **الإشكالية** :

ما هي المعالم العامة والخاصة للتنظيم الديني في الجزائر العثمانية؟ من هم أبرز العلماء الجزائريين خلال الحكم العثماني؟ وما هي العلوم الدينية التي كانت حاضرة آنذاك؟ وما هي أبرز المؤسسات التي تخدمها وكيف كانت حالة التصوف آنذاك؟

وللإجابة على هذه الإشكالية، تم وضع الخطة كما يلي :

- العلماء اندرج تحته علاقة العثمانيين مع المتصوفين
- العلوم الدينية
- أهم مؤسسات الدينية القائمة كالمساجد والزوايا والرباطات
- العلماء وعلاقتهم بالحكام وأهم العلماء المسلمين آنذاك

I. العلماء في الجزائر أثناء العهد العثماني

أولا : وظائف العلماء ومكانتهم

إن ظهور العلماء كفئة مميزة ليس وليد العهد العثماني، فقد بدأ كما نعلم منذ استولى على شؤون المسلمين حكام جهلة ليس لهم صلة بالحضارة الإسلامية، ولعل كون العلماء العثمانيين في الجزائر غرباء عن الثقافة العربية وعن تاريخ الحضارة الإسلامية هو الذي جعلهم كولاة وسلاطين يستأثرون بشؤون الحكم من سياسة و اقتصاد وجيش وإدارة تاركين القضايا التي لها مساس مباشر بالدين في أيدي فئة أخرى هي فئة العلماء ، وهكذا بدؤوا في تطبيق القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية وهو ما يسميه الأوروبيون الفصل بين الدولة والدين .

إن العلماء فئة احتكرت مجالات عديدة في المجتمع و هي الإفتاء و القضاء و التعليم والإمامة والخطابة، ورغم تعدد هذه المجالات فإنها كانت ضيقة ومحددة ولذا كثر التنافس فيها بينهم وكان هذا التنافس بدوره سببا في إضعاف دورهم السياسي لأن الباشوات والبايات كانوا يضربون هذا بذاك وكانت بعض الأسر العلمية تتميز بالثراء الغزير فلاحظ"التغروني" في أواخر القرن العاشر أن علماء الجزائر تغلب عليهم المادية ولاشك أن ذلك على وظيفة كان يتولاها العالم في الفتوى، ذلك أن الفتوى تحتاج إلى درجة عالية من العلم والتعمق في مسائل الفقه، ولما جاء العثمانيون أحدثوا تغيرات في هذا النظام فقد جعلوا الإفتاء وظيفة من الوظائف الرسمية

[52]، وكان المفتي يتولى أيضا وظائف أخرى كما عرفنا مثل التدريس ووكالة الأوقاف والإمامة والخطابة وليس من الضروري أن يجمع المفتي كل هذه الوظائف دفعة واحدة فقد كان له أن ينيب غيره في بعضها.

ويأتي القضاء بعد الإفتاء في الأهمية بل أن وظيفة القاضي الحنفي في المرحلة الأولى من الوجود العثماني كانت هي الأساسية لأنها كانت وظيفة دينية و سياسية، وكانت الخطابة هي الوظيفة الثالثة في الأهمية وكانت مقاييسها صعبة لأن الجمهور يشترك في الحكم مثل الخطيب بخلاف المفتي والقاضي اللذان يتولون وظيفة سياسية– دينية، ومن شروط الخطيب الفصاحة وجودة الصوت وسعة الاطلاع والجرأة الأدبية،كذلك نذكر من الوظائف العامة وظيفة المدرس، وقد سبق لنا الحديث عنها غير أننا نود أن نلاحظ أنها كانت أحيانا تابعة لوظائف أخرى فالمفتي و الخطيب يتوليان التدريس و لكن العكس غير صحيح.

نلاحظ أن لقب العالم يطلق أيضا على بعض الفئات الأخرى في المجتمع و نذكر منها ثلاث أنواع: كتاب الإنشاء أو الخواجات و الثاني المثقفون الأحرار والثالث المرابطون.

و بالإضافة إلى المهمات التي ذكرناها كان العلماء يقومون بأعمال أخرى كالسفارة ومن أقدمها سفارة محمد بن علي الخروبي الطرابلسي إلى المغرب أكثر من مرة مبعوثا من باشاوات الجزائر إلى سلاطين المغرب لتأمين الحدود و تأمين العلاقات بين البلدين[53].

ثانيا : علاقة العلماء بالحكام

كان العلماء يمثلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني فهم رغم ترفعهم الطبقي كانوا على صلة بالناس في الدروس و مجالس الفتوى والقضاء والزوايا وخطب الجمعة ونحو ذلك، وكان بعض العلماء يجلسون في المقاهي ويختلطون بالناس في الأسواق أيضا، و كان بعضهم يكثر عليهم الازدحام في الدرس والخطبة حتى يلفت النظر لنفسه فتخشاه السلطة، ومن جهة أخرى كان الناس يثقون في رجال الدين أكثر مما كانوا يثقون في رجال السياسة والحرب ولهذه المكانة التي كانت للعلماء كان العثمانيون يقدرونهم ويخشونهم ويتقربون منهم، وكانوا أحيانا يلجئون إليهم في موقف تأييد وغير ذلك، كما أن العلماء كانوا في حاجة إلى الباشاوات والبايات طمعا في مال أو وظيفة أو تأييد من منافسين وكانت هذه العلاقة في الواقع علاقة

مطردة و يمكننا أن نقسم هذه العلاقة إلى طيبة وسيئة وقبل كل شيء نود أن نلاحظ أن حديثنا سينصب في الغالب على علماء الجزائر الجزائر أو من في حكمهم و ليس العلماء الذين كانوا يغدون مع الباشاوات من اسطنبول لمدة معينة فقد كان الحاكم العثماني ملتزما بمبدأ عريق عنده وهو أنه رجل محارب و سياسي و أن حروبه سياسته قائمة على الدفاع على الدين و الجهاد في سبيله، فهو يعترف أنه من رجال السيف و أنه لا شأن له بالطرف الأخر من القضية و هو الدين و العلم فهو ليس من رجال الدين كما أنه لا يريد منهم أن يتدخلوا في حروبه و سياسته و هو بالمقابل لا يتدخل في شؤونهم الدينية[54].

ثالثا : العلماء المسلمون في الجزائر أثناء العهد العثماني

من الصعب تحديد عدد العلماء المسلمين الذين وردوا على الجزائر خلال العهد العثماني وبيان وظائفهم وذكر بلدانهم ونوع ثقافاتهم و أهدافهم فالعالم الإسلامي كان وطنا واحدا ينتقل فيه العالم من طرفه إلى طرفه الأخر دون أن يسأله أين هو ذاهب، وكان العلماء من حيث المبدأ لا وطن لهم فهم حيث مصالحهم الخاصة والعامة ومع ذلك فقد وجدت ظروفا ساعدت على هجرة العلماء من بلد إلى أخر،وقد عرفنا منها الظروف السياسية و الاقتصادية و طلب العلم، وكان العلماء يترددون على الجزائر ويعملون فيها حتى قبل مجيء العثمانين، فقد نزلها علماء الأندلس قبل نكبة1492 وبعدها ورافقت بعض العلماء الحملات العثمانية على سواحل المغرب العربي كما رافقوا الباشاوات الذين عينوا من اسطنبول لإدارة البلاد وتمثيل السلطان وكان بعض هؤلاء العلماء موظفين رسميا كالقاضي الحنفي، ولكن بعضهم كان يأتي دون تعيي، فهو باحث عن الفرص والمال أو عن نشر العلم والطرق الصوفية، وكان بعض العلماء يتعاطون أيضا التجارة في بلدانهم فجاءوا للجزائر إما للاستمرار في التجارة و إما للتدريس ، ولم يكن كل العلماء الذين وردوا على الجزائر على جانب كبير من العلم والنزاهة فقد كان فيهم المغامر والانتهازي ودعاة المذاهب السرية ، وكان بعضهم قد استقروا في الجزائر و لم يعودوا إلى بلدانهم فقد كانوا يتزوجون ويضلون مع أزواجهم و أطفالهم حتى بعد انتهاء الوظيفة[55].

II. العلوم الدينية في الجزائر أثناء العهد العثماني

أولا : القراءات

لقد كان في الجزائر العثمانية عديد العلوم الدينية منها علم القراءات ورسم القران والجزائريون الذين تناولوا هذا الموضوع قلة نبيا، واحد هؤلاء القلة هو "محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي" مؤرخ بني زيان الذي ألف كتاب "الطراز في شرح الخراز" و أوضح أن سبب تأليفه يعود إلى أنه رأى من تناول نظم الشريشي المعروف بالخراز في علم الضبط أي ضبط القراءات و الرسم، إما اختصره اختصارا و إما أطال فيه إطالة مملة لذلك عزم هو على وضع شرح على نظم الخراز يكون وسطا بين الاختصار والإسهاب ويكون أنشط لقارئه و أقرب لفهم طالبه ، والمعروف أن الخراز قد وضع نظما تناول فيه علم الرسم سماه "عمدة البيان" وهو يعنى بالرسم الخاص برسم خطوط المصاحف كبيان الزائد و الناقص والمبدل وغيره، أما ما يرجع إلى علامة الحركة والسكون والشد والمد والساقط والزائد فهو ما يعرف بعلم الضبط، ولذلك جاء في نظم الخراز هذا البيت :

هذا إتمام نظم رسم الخط وها أنا اتبعه بالضبط

وفي المعنى الأخير ألف التنسي شرحه الذي نحن بصدده، ومن جهة أخرى وضع محمد بن احمد المصمودي رجزا في القراءات سماه "المنحة المحكية للمبتدى في القراءة المكية" تناول فيه أوجه الخلاف بين عبد الله المكي و قراءة الإمام نافع[56].

ثانيا : علوم التفسير

أما التفسير فقد ضعفت العناية به فكان بعض العلماء يتناولونه في مجالسهم و دروسهم، ولكن قلما ألقوا فيه ولولا تفسير عبد الرحمان الثعالبي المعروف بالجواهر الحسان لما وصل إلينا تفسير مكتوب من القرن التاسع وينسب للمغيلي تفسير بعنوان البدر المنير في علم التفسير ولكننا لا نعرف انه وصل إلينا منه شيء، وينسب أيضا لأبي جميل إبراهيم بن فائد الزواوي تفسير مكتوب للقران الكريم، غير أننا لا ندري إن كان هذا العمل قد أنقذ من الضياع ولاشك أن هناك تفاسير أخرى مكتوبة لم نسمع بها.

وما دام تفسير الثعالبي هو الوحيد الذي وصل إلينا من القرن التاسع فلنتوقف عند قليلا، فقد سماه الجواهر الحسان في تفسير القران وهي تسمية واضحة و بسيطة وانتهى منه في 25ربيع الاول833هـ كما جاء في آخر الجزء الثاني ومعنى ذلك أن الثعالبي قد عاش حوالي سنة بعد تأليفه، فهو إذن من أوائل مؤلفاته، ومما يستغرب في هذا الصدد هو جمع الثعالبي وهو في مقتبل العمر كل المعارف التي أوردها أو أشار إليها في كتابه، فرغم انه اعتمد فيه على تفسير ابن عطية فقد رجع لقريب من مائة تأليف، كما صرح هو بذلك ومن هذه المؤلفات تفسيري الطبري وقد تحرى الثعالبي الحقيقة و الرواية حتى أنه كان لا ينقل شيئا إلا بلفظ صاحبه[57].

ثالثا : الفقه

لقد كان الاهتمام بالدراسات الفقهية منصبا على الفروع بدل الأصول، و أن هذا الاهتمام ب بالفروع تسبب أولا ضعفا في الدراسات العقلية عامة والعناية بالكليات، وتسبب ثانيا في ابتعاد الدارسين عن الفقه أصلا والدخول في ركن التصوف والزهد ومعظم العلماء المؤلفين في القرن التاسع تركوا مؤلفات في الفقه وفروعه شرحا وحاشية وتقييدا، وليس من غرضنا سرد هذه الآثار التي تذكر عادة في كل ترجمة لكل عالم مثل ابن القنفذ والمغيلي والسنوسي،ومن الكتب التي سارت في ركب الفروع الفقهية كتب النوازل، وقد اشتهر في القرن التاسع مؤلفات في هذا الباب أحدهما يحي المازوني والثاني أحمد الونشريسي الذي أدرك أيضا القرن العاشر.

إن من بين العلماء الذين يعتبرون قمة في ميدان الفروع الفقهية هو أحمد الونشريسي فهو يشكل الجسر الذي عبرت به هذه الدراسات إلى العهد العثماني، ذلك أن كتابه هو المعيار بما احتوى عليه من فتاوى أهل الأندلس و المغرب وتونس والجزائر يعتبر موسوعة حية للفقه المالكي في المغرب العربي [58]

III. المؤسسات الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني

أولا : المساجد

كثيرا ما يختلط على الباحث اسم الجامع والمسجد والزاوية، ذلك أن بعض الجوامع والمساجد كانت تابعة لزوايا معينة، كما أن بعض الزوايا كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة والتداخل بينهم ليس في الاسم فقط بل في الوظيفة أيضا، فالجوامع والمساجد كانت للعبادة

والتعليم كما أن الزوايا كذلك كانت، لكنها في الغابات كانت رباطا أو ملجئا أو مسكنا للطلبة والغرباء ومركزا لتلقين الأفكار واستقبال المريدين، كما أن حجم هذه المؤسسات له دخل في تحديد وظائفها، فالجامع اصطلاحا أكبر حجما من المساجد فهو الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة والعيدين ، لقد كانت العناية بالمساجد ظاهرة وبارزة في المجتمع الجزائري المسلم فلا تكاد تجد قرية أو حيا في المدنية دون مسجد، فقد كان المسجد هو ملتقى العباد ومجمع الأعيان وكانت تنتشر حوله المساكن والأسواق والكتاتيب وكان المسجد كذلك هو الرابطة بين أهل القرية والمدينة والحي لأنهم يشتركون جميعا في بنائه كما هم جميعا يشتركون في أداء الوظائف فيه، فقد كان تشييد المساجد عملا فرديا بالدرجة الأولى فالغني المحسن هو الذي يقوم عملية بناء المسجد والوقف عليه وصيانته، ولكن أعيان القرية أو الحي يساهمون بالتبرعات ونحوها ولا يتعدى مجموع السلطات الحاكمة في المجال مجهود الأفراد، فالدولة لم تكن مسئولة على بناء المساجد وإذا بنى أحد الباشاوات مسجدا فانه يبنيه من ماله الخاص[59].

ثانيا : الزوايا و الرباطات

من أبرز ميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الزوايا والطرق الصوفية وكثرة المباني (الزوايا ونحوها) المخصصة له، ففي المدن والأرياف في الجبال الشاهقة عاش معظم المتصوفين يلقنون أتباعهم الأفكار و الأوراد مبتعدين عن صخب الحياة، وكانت كل مدينة كبيرة أو صغيرة محروسة بولي من الأولياء فهو الذي يحميها من العين ومن الغارات ومن نكبات الطبيعة ومن طمع الطامعين وهذا حسب اعتقادهم فهناك صلحاء تلمسان والجزائر ومدينة قسنطينة وبجاية والمدية ..ففي مدينة الجزائر العائلة التي كانت تعج بالزوايا و الأضرحة والقباب المقامة على الأولياء والصالحين، فبالإضافة إلى زاوية وضريح عبد الرحمان الثعالبي هنالك زاوية الولي دادة وغيرها ...

و لقد لعبت الزاوية دورا هاما وايجابيا في الريف أكثر منه في المدينة، ففي بداية العهد العثماني كانت الزوايا عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء والمرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع الأمراء المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد وعلى هذا النحو تحالف بعضهم مع العثمانيين وقدموا

لهم المساعدات الأساسية فجندوا من ورائهم الشعب وجمعوا لهم المؤن والمعدات ورفعوا الروح المعنوية للمحاربين ولكن الدوافع الجهادية كانت تضعف بالتدريج بعد القضاء على الخطر الخارجي الداهم [60].

ثالثا : المدارس

لقد كثرت في الجزائر المدارس الابتدائية حتى كان لايخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الأرياف بل أنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال النائية وهذا ما جعل جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان، وقد عد بعضهم العشرات من هذه المدارس بالإضافة إلى المساجد والزوايا والرباطات التي تحدثنا عنها وكانت الأوقاف والصدقات تلعب دورا مهما في انتشار المدارس ونشر التعليم .

بالإضافة إلى المدارس الابتدائية كان بها على الأقل خمس مدارس ثانوية وعالية وهذه المدارس هي التي أشاد بها الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل والكاتب المغربي الحسن الوزان "ليون الإفريقي".

لقد كانت وظيفة المدرسة الابتدائية هامة فهي تثقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام على نمط اجتماعي محدد وهي تقوم بتحفيظ القران الكريم الذي هو أساس الثقافة الإسلامية وهي التي تعلم مبادئ العلوم والقراءة والكتابة فيحفظون لسانهم من العجمة ويتوحدون في التفاهم والتخاطب حيثما كانوا وهي أيضا تساهم في إعطاء الطفل رصيدا من المعارف التي تساعده على شق طريقه في المجتمع بعد خروجه منها عندما يبلغ عادة الرابعة عشر من عمره والى جانب ذلك كانت المدرسة الابتدائية تعد شعبا متعلما محصنا لا يوجد فيه إلا عدد قليل من الأميين، حتى إن المدرسة لم ترق بالتعليم ولم تساير العصر ولكنها كانت تؤدي الوظيفة الأساسية في المجتمع خصوصا رفع الأمية [61].

IV. التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني

أولا: موقف العثمانيين من التصوف

رحب بعض المرابطين بالعثمانيين لأن هؤلاء الأخيرين شعروا أن اقرب الناس إليهم هم رجال الدين والمتصوفين، ومنذ بداية العهد العثماني لاحظنا أن العثمانيين كانوا يطمئنون إلى المرابطين أكثر من غيرهم فيلجئون إليهم ويتبركون بهم ويطلعونهم على خططهم ونحو ذلك مما يدل على الثقة المتبادلة بين الطرفين .

وقد شاع في الجزائر التحالف بين العثمانيين والمرابطين حتى عرف الناس أن هناك سياسة عامة متبعة فكثرت الأضرحة والقباب ودخلت الطرق الصوفية من المشرق ومن المغرب وجاء الدعاة الحقيقيون والأدعياء المزيفون ينشرون أفكارهم و أورادهم بين الناس، لكن بعض رجال الدين عارضوا بشدة تسلط العثمانيين بينما وقف بعضهم وسطا تارة يؤيدونهم كمسلمين مجاهدين ماداموا عادلين وتارة ينصحونهم عندما ينحرفون أو يسيئون الحكم ، ومن الصنف الأول أحمد بن ملوكة التلمساني فقد قيل إنه اطلع على ما ارتكب عروج عند احتلال تلمسان من فضائح وبعد خروج عروج إلى جبال بني سناسن خاف أهل تلمسان من عودته و الانتقام منهم من جديد فلجئوا إلى الشيخ أحمد بن ملوكة واشتكوا له ما وقع بهم وما يخشون وقوعه فانقبض الشيخ واشتد غضبه حتى ضرب الأرض بيده وهو يدعوا "اللهم لا تعده إلى تلمسان"62.

ثانيا : الطرق الصوفية

كان معظم المرابطين الجزائريين قبل العهد العثماني من إتباع الطريقة الشاذلية، وكان تأثير هذه الطريقة يأتي عن طريق طلب العلم في المغرب الأقصى و تونس أو عن طريق الحج، ذلك أن مثقفي الجزائر كما مر بنا كانوا كثيرا ما يقصدون طلب العلم خارج بلادهم التي كانت تفتقر إلى المعاهد العليا والجامعات، و أثناء إقامتهم في فاس أو تونس أو القاهرة أو حتى في الحرمين ودمشق وبغداد، كانوا يأخذون العهد من شيوخ الطرق وهو أمر كان شائعا عندئذ ولا حرج فيه، بل كان يعتبر جزءا من ممارسة العلم ولا شك أن المغرب الأقصى كان مركزا عاما لنمو الطرق الصوفية بعد سقوط الأندلس وتحول كثير من علماء الدين و أصحاب التصوف إلى هناك، ففي المغرب ظهرت مدارس صوفية عديدة سنية وغير سنية، وكان بعض أصحابها

يتدخلون في السياسة والحكم وبعضهم قد اتخذوا الخلوة واعتزلوا الناس، ومن جهة أخرى جاء من تونس عدة طرق و لاسيما الشابية التي هزت الشرق الجزائري بالحروب والدروشة الصوفية، كما كان المشرق الإسلامي مصدرا لتصدير المذاهب الصوفية الأربعة من البلاد العربية أو الواردة من فارس والهند واسطنبول.

ومع ذلك لا نعرف أن البكداشية و النقشبندية قد انتقلتا إلى الجزائر حتى بعد دخول العثمانيين والطريقة الوحيدة التي وجدت أرضية صلبة في الجزائر هي القادرية، وهي التي وصلت قبلهم ولكنه ازدهرت أثناء حكمهم غير أن هذا لا يعني عدم وجود التأثير الطرقي الآخر [63]

الخلاصة

من خلال تحليلنا لما سبق نستنتج أن:

- الوجود العثماني في الجزائر كان قائم منذ البداية على نصرة الإسلام والمسلمين، وعليه فإن التنظيم الذي كان ينتهجه الحكام العثمانيون ركز كثيرا على رجال الدين والتصوف وذلك للدور الذي لعبوه في التواصل مع الرعية.

- أن رجال الدين والعلماء حظوا بمكانة راقية من طرف الرعية وحتى من جانب الحكام حيث قربوهم من سلطتهم ومنحوهم الوظائف المختلفة في الدولة كالقاضي والمفتي والمعلم وقياد الرباطات.

- إن المؤسسات الدينية التي سادت في إيالة الجزائر عكست مدى اهتمام الحكام والرعية بها والدور الروحي الذي كان يقربها منها، إن الإنتاج الديني الذي قام بتأليفه علماء الدين تنوع واختلف من علامة إلى أخر فهذا يهتم بعلوم القراءة وذلك بالتفسير إلى غير ذلك من العلوم، ومن أبرز العلماء عبد الرحمان الثعالبي.

- انتشرت ظاهرة التصوف في الجزائر قبل و أثناء الوجود العثماني حيث شجعت السلطة على الاهتمام بالتصوف وذلك نظرا للهالة الاجتماعية والسياسية التي يتمتع بها رجال التصوف والدين، برغم المؤاخذات التي شابت هؤلاء العلماء وجعلتهم يخطئون في عقائدهم.

الهوامش :

52- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 388-390.

53- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 391.

54- أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تح:أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1974، ص ص 81-91.

55- أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص92.

56- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،تق، تح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص52.

57- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تق تح تع: ابو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1987،ص ص 35-36.

58- عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 37.

59- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 245.

60- عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة، منشورات المركز الوطني للدراسات وابحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، الجزائر، ص306

61- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص307

62- عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830، دار هومة، الجزائر، ص71.

63- عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص43.

المحاضرة السادسة :

علاقة السلطة العثمانية في الجزائر برجال التصوف والطرق الصوفية

- تطور التصوف في الجزائر أثناء العهد العثماني
- المرحلة الأولى : مرحلة التحالف والتقارب
- المرحلة الثانية : مرحلة الصراع والتصادم

- **التصوف في الجزائر العثمانية وتطوره:**

لقد مرت العلاقات بين المرابطين والعثمانيين، حسب رأينا بمرحلتين هامتين، وهما:

المرحلة الأولى: مرحلة التحالف والتقارب

وقد اتسمت بالعلاقات الحسنة والتحالف الضمني من الطرفين بغية تحقيق كل مبتغاه، وقد انتهج العثمانيون خلالها سياسة تقارب تجاه المرابطين، تمثلت في عقد التحالفات، واستمالة المرابطين وشيوخ الطرق المرابطية لاحتوائهم، فتحالفوا مع أحمد بن يوسف الملياني الذي كان من أبرز متصوفة الطريقة الشاذلية[64]، وكان يروج لها في كامل القطر عامة، وفي الجهة الغربية منه خاصة[65]، فتحالف معهم على محاربة العدو المشترك (الإسبان) من جهة، وسلطة الزيانيين المتحالفة ضد العثمانيين من جهة أخرى، واستمر هذا التحالف طيلة العهد العثماني[66].

أما في قسنطينة فقد تحالف العثمانيون مع عائلة الفكون الصوفية، وفي عنابة قصدوا عائلة الساسي البوني، التي كانت تمثل السلطة الروحية هناك، وتحالفوا معها، وفي مدينة الجزائر تحالف صوفية الثعالبة مع العثمانيين، فعقدوا مع بابا عروج معاهدة لصد الإسبان الذين كانوا متمركزين بصخرة البنيون، القريبة من شاطئ المدينة[67]، وفي الشلف طلب العثمانيون من الشيخ الصوفي ابن المعوقل مبايعتهم ومناصرتهم على الزيانيين، فكان لهم منه ما أرادوا، وجهز لهم حملة، وبعث معهم ولديه[68] هذا وبعدما استتب الأمر للعثمانيين في الجزائر، قاموا بتشجيع رجال التصوف وأهل الطرق المرابطية، ثم شاركوا مشاركة فعلية في بناء القبب والأضرحة والمزارات، كما ساعدوا الصالحين في بناء الزوايا والرباطات، وأنفقوا في ذلك أموالا طائلة [69]، ومنحوهم حرمة وحصانة، وكانت نتيجة ذلك التحالف بين رجال الطرق المرابطية والعثمانيين إعفاءات المرابطين من الضرائب[70]، وبذلك عاد المرابطون إلى دورهم المتمثل في التعليم والتصوف، والتف الشعب حولهم[71]، وانتشرت الزوايا في الأرياف والمدن، وحدث تطور كبير في هياكلها وفي وظائفها، وبرز دورها التعليمي والاجتماعي، وانتشرت الزوايا والكتاتيب والقباب، واشتهرت زوايا في هذا المجال، مثل زاوية ابن أعراب، وزاوية آث إسماعيل، وزاوية ابن علي الشريف بآقبوا وزاوية عبد الرحمان البلولي، وزاوية ابن أبي داوود، وزاوية محمد السعدي بنواحي دلس، واستطاعت أن تؤدي دورها لا بفضل عطايا العثمانيين فحسب، بل بفضل ما كانت تملكه

الزوايا من أوقاف، وبرزت طرقا مرابطية جديدة، وتفرعت أخرى ونتج إنتاج ثقافي غزير غلب عليه طابع التصوف[72]، وتسربت طرقا صوفية من المغرب الأقصى وانتشرت.

وعموما فبفعل تلك السياسة التي انتهجها العثمانيون تجاه الطرق المرابطية، انتشرت هذه الطرق، وأخذت تتطور وتزداد نفوذا منذ القرن 16م، وتمكنت في ظرف قصير من التحكم في توجهات السكان الروحية ومواقفهم السياسية أمام انحطاط العثمانيين الحضاري[73]، وبذلك تعددت زوايا هذه الطرق، وأصبحت مراكز لتلقين الأوراد والأذكار[74]، حتى بلغ عدد الزوايا حسب رأي الأستاذ سعد الله في نهاية العهد العثماني 355 زاوية عليها 1955 مقدما، وتظم 167019 من الإخوان، وعدد الشيوخ 20 شيخا معظمهم من الغرباء، ويتلقون الإرشادات من رؤسائهم في العالم الإسلامي، سواء في المشرق أو في المغرب الأقصى[75].

بتلك السياسة التي انتهجها العثمانيون مع المرابطين للحفاظ على ودهم أو حيادهم، أو دعمهم للجهاد البحري أو أثناء حملاتهم ضد القبائل الثائرة[76]، لاقى التصوف كل التشجيع كما سبق ذكره، وانتشرت الأضرحة والقباب، وكثر الاعتقاد في الأولياء، وشيئا فشيئا ابتعد المرابطون عن دورهم، وانتشرت الشعوذة، وساد الجمود، وغابت فلسفة التوحيد، وغابت معها العقيدة الواضحة في الدين[77]، حيث اهتم المرابطون ببناء الزوايا وجمع المال مستغلين سذاجة الناس وجهلهم، ولم يسلك طريق التصوف الحقيقي سوى القليل منهم[78]. وهذا ما كان منتشرا منذ القرن (9هـ/15م).

المرحلة الثانية: مرحلة الصراع و التصادم

تميزت المرحلة الثانية بالصراع والتصادم وكان لكل ذلك أثره على تطور التصوف بالجزائر، ولئن كان العثمانيون قد وفقوا وتمكنوا من احتواء الطرق المرابطية في القرنين 16م و17م إلا أن العلاقة تغيرت مع القرن أثناء القرنين (18و19م) حيث تغيرت موازين القوى وقلت مداخيل الجزية وتعفن النظام الضريبي[79]، وزاد ظلم العثمانيين وكثرت ضرائبهم التي وقعت على كاهل سكان الأرياف[80]، وظهرت طرق جديدة، كالطريقة الرحمانية، والطريقة التيجانية، والطريقة الحنصالية، وتسربت الطريقة الدرقاوية والطريقة الطيبية والتف الشعب حول هذه الطرق وزاد أتباعها ومريدوها واستغلت هذه الطرق المرابطية تذمر السكان وأعلنت الثورات ضد الوجود

العثماني، كثورة محمد بن الأحرش ببايلك الشرق[81]، بالتعاون مع الرحمانيين تحت قيادة المقدم عبد الرحمان الربوشي شيخ زاوية رجاس قرب ميلة(82)، وثورة الدرقاويين ببايلك الغرب[83]، والتي قادها محمد بن شريف الدرقاوي بالتعاون مع قبائل غريس القادرية[84]، وثورة التيجانيين[85]، التي قادها الشيخ أحمد التيجاني[86]، في عين ماضي قرب الأغواط.

إن كان العثمانيون قد تمكنوا من إخماد هذه الثورات إلا أن علاقتهم ساءت مع الطرق المرابطية، وأصبحوا يخشونهم، ويترصدون حركاتهم، وبذلك انتهت تلك العلاقة التي بدأت بالتقارب والتشجيع والاحتواء بالحرب والقطيعة، والتضييق، والإعدام والحجز والمحاكمة، فقد أعدموا بعض المشائخ كما هو الحال مع الشيخ سيدي محمد الصادق مرابط أولاد سيدي بن حليمة بالغرب الجزائري[87]، والمرابط ابن قندوز التوجيني الذي قتل في مازونة[88]. و ضيقوا الخناق على الشيخ أحمد التيجاني الذي فضل الفرار إلى المغرب الأقصى مثل المرابط الشارف بن تكوك، ومحمد بن السنوسي الذي فضل الهجرة إلى المشرق العربي[89]، والحجز والتضييق على الشيخ محي الدين، شيخ الطريقة القادرية بغريس، وابنه عبد القادر، حيث منعا من أداء مناسك الحج، وحجزا عند باي الغرب، الباي حسن[90].

أما مؤسس الطريق الرحمانية الشيخ محمد بن عبد الرحمان، فنظرا لكثرة أتباعه، وانتشار دعوته، فقد توجهت إليه السلطة العثمانية وعلماؤها بالمكائد والدسائس واتهم بالزندقة، وأثارت السلطة العثمانية حوله الكثير من التهم والشبهات، واستدعي واضطر للمثول أمام المجلس العلمي و حوكم، وبعد مناقشته فيما اتهم به والاستماع إلى حججه، تمت تبرئته،كما ذكر ذلك لويس رين [91].

الخلاصة :

إن ما نستنتجه من هذه المحاضرة هو :

- رغم القطيعة بين الطرق المرابطية والسلطة العثمانية، قد استمرت حتى نهاية الحكم العثماني بالجزائر، بدليل رفض التيجانيين، والقادريين مساعدة باي الغرب (الباي حسن) أثناء الغزو الفرنسي[92] إلا أن الطرق المرابطية قد زادت في عهدهم ومع ظلم العثمانيين وغياب دور بعض الطرق ظهرت طرق جديدة كالطريقة الرحمانية، وتحولت إلى ما يشبه أحزاب معارضة عجلت بزوال العثمانيين.

- التطور في التوجه وإيديولوجية بعض الطرق المرابطية لا في النظرة فحسب، بل في المهام أيضا، فمن حيث التوجه بدأت تظهر فكرة التحالف والتعاون بين الطرق المرابطية، وهذا ما تكرس في عهد الأمير عبد القادر، ثم التطور في مهام الطرق والانتقال إلى العمل السياسي والجهادي، والرجوع بالطرق المرابطية إلى دورها الذي وجدت من أجله ليتكرس هذا الدور الجهادي عند دخول فرنسا.

وعموما فقد عرف التصوف أثناء العهد العثماني تطورا كبيرا في الهيكلة والمؤسسات وفي الدور، فإضافة إلى المساجد بنيت الزوايا وزاد عددها، وكثرت الكتاتيب والمعمرات وتولت هذه المؤسسات العملية الاجتماعية، كما تمكنت هذه الطرق من القيادة الروحية للمجتمع الجزائري.

الهوامش :

64- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص210.

65- مختار جبار: الحضور الصوفي في الجزائر في العهد العثماني، مجلة التراث العربي، ع59، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1994م، ص2.

66- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص03.

67- مختار حبار: مرجع سابق، ص03.

68- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص466.

69- مختار حبار: مرجع سابق، ص03.

70- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص210.

71- نفسه: ص269.

72- نفسه: ص266.

73- ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر، البابطين، مؤسسة عبد العزيز آل سعود، المملكة العربية السعودية، 2000م، ص113.

74- Alfred Bell : Les Confrérie religieuses، P352

75- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج4، ص.

76-) M-Rozet et Carette: L'Algerie، 2Ed، ed، Bouslama، Tunis، 1980، P11

77- ابن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص32.

78- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص532.

79- فلة قشاعي موساوي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، عدد7، 1993م، ص182-183.

80- أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته أثناء الوجود العثماني (1519هـ/ 1830م)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م، ص252.

81- مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتعليق رابح بو نار، ش.و.ت.ث، الجزائر، 1974م، ص30.

82- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص222-223.

83- محمد بن يوسف الزياني: مصدر سابق، ص207.

84- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص252.

85- مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق، ص30، وكذلك: . Arnaud : Histoire de l'ouali sidi Ahmed el Tidjani، in، RA، N°5، Alger، 1861.، P468

86- أحمد التيجاني: ولد سنة (1737-1738)، رحل سنة 1756 إلى فاس، ثم تلمسان، حيث درس الحديث والتفسير وغيرهما، حج سنة 1773، حيث التقى بالعديد من رجالات التصوف، لطريقة أتباع كثيرين يتغالون فيه إلى حد يفوق الوصف، توفي سنة 1814، ودفن بفاس، حول ترجمته أنظر:TIDJANIA : Margoliouth، Ensyclopedie de L'islam، t، 2.، P784-785

87- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص252.

88- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص223.

89- نفسه: ص223.

90- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص223.

91- Louis Rinn: OP.CiT، P454.

92- أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ج1، ص224.

الباب الثاني :

الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني

المحاضرة السابعة : ثورات القرن السادس عشر

المحاضرة الثامنة : ثورات القرن السابع عشر

المحاضرة التاسعة : ثورات القرن الثامن عشر

المحاضرة العاشرة : ثورات القرن التاسع عشر

المحاضرة السابعة :

ثورات القرن السادس عشر ميلادي

I. ثورة سالم التومي

II. ثورة السويد

ثورات القرن الســـــادس عشر ميلادي- 16 م –

I. ثـورة سـلـيم التـومـي

عندما سقطت مدينة بجاية تحت قبضة الإسبان يوم 6 جانفي 1510 ، ذهب "سليم التومي" حاكم مدينة الجزائر إلى بجاية لإعلان ولائه للقائد الإسباني "بيدرونافارو" وإشترط هذا الأخير على سليم التومي دفع ضريبة باهضة و إطلاق سراح كل العبيد المسيحيين الأسرى في يد سكان المدينة ، ومن جهة أخرى فرض بناء قلعة على تلال الجزر المقابلة لمدينة الجزائر و التي أصبحت تُعرف ب" البينيونEl peñon" نسبة للصخور الصلبة التي بنيت فوقها .[93] بُنيت القلعة على شكل مُثمن وحُصّنت بحصنين و كان يربض فيها حوالي 200 جندي إسباني . كان موقع البينيون قريبا من مدينة الجزائر بحيث أن طلقات الأسلحة النارية تصل اليابسة و أن طلقات المدفعية تمر فوق المدينة من سور إلى أخر. ومهمة هذا الحصن هي مراقبة كل ما يجري من تحركات في البحر دون إنقطاع و منع القراصنة من إستعمال الميناء كملجأ . وبحسب أحد الأقوال الشعبية أنذاك كانت البينيون شوكة في قلب كل جزائري للتخلص من هذه القلعة و نقض المعاهدة المجحفة مع الإسبان ، فكر "سليم التومي" في الإخوة بربروس الذين كانوا يسيطرون على ميناء جيجل ، و أعتقد أنهم أفضل من يساعده على تهديم القلعة [94]

أولا : إتفاقية سليم التومي مع "عروج"

أوفد سكان مدينة الجزائر عدة شخصيات بارزة لإقناع عائلة بربروس لمساعدتهم على القضاء على قلعة البينيون و الجنود الإسبان الموجودين فيها. يقول المؤرخ الأمريكي " وليم سبنسر": "وقد عُقدت إتفاقية بين سكان المدينة و حاميهم الجديد تحدد بمقتضاها أن تُحترم سيادة مدينتهم و أن لا يخضعوا لدفع أية أتاوة جديدة و لا لأي تدخل في تجارتهم و أن تكون مساعدة عروج مقصورة على إسترجاع صخرة (البينيون)"[95]

يقول هاييدو " وقبلت عائلة بربروس هذا الطلب و رأت في ذلك فرصة للإستيلاء على مدينة الجزائر الهامة و الغنية جدا و المأهولة بالسكان و خاصة كونها مريحة و مناسبة لعمليات القرصنة ،سار عروج و إخوته بسفنهم و جيشهم نحو مدينة الجزائر و قبل أن يقوموا بمهاجمة

قلعة "البينيون" ، شنوا حملة على شرشال و طردوا منها القرصان "كارا حسن" الذي كان منافسا لعروج .

ثانيا : سكان الجزائر ينتفضون ضد عروج و جيشه

عندما وصل عروج إلى مدينة الجزائر باشر بحفر خندق و نصب مدفعيته مقابل القلعة و بدأ هجومه عليها . غير أن ضعف مدفعيته منعته من تحقيق نتائج مُرضية، وبعد عشرين يوما بدأ سكان مدينة الجزائر يضيقون ذرعا من تصرفات جنود عروج . يقول هاييدو " ولم يتحمّل سكان المدينة تصرفات الأتراك[96]، ويضيف وليم سبنسر "و لما رأى سليم التومي أن حكمه قد ذهب انسحب إلى حماية قبيلته في المتيجة. و كان ذلك بمثابة مؤامرة لإخراج الزائرين الذين أصبحوا غير مرغوب فيهم و الذين تطلّب سلوكهم تجاه السكان النظر إليهم كمحتلين عسكريين

ثالثا : عروج يغتال سليم التومي

بينما كان عروج يستعد للحرب اذ أحس بفتور اعترى سالم التومي الذي أحس بفتور اعترى سالم الذي خشي أن ينتزع منه الحكم فأخذ يتجسس على عروج لقتله والاستراحة من المنافسة وانفراد بالامر بدون منازع واحضر أخاه خير الدين ونظم الإدارة وجند الجنود وكون جيشا قويا اخضع بفضله القبائل العربية والبربرية المجاورة للجزائر خصوصا منها قبيلة الثعالبة.

لما استقر عروج بالجزائر ودرس موقعها ظهرت له أهميتها وحصانتها ومناعة المرفأ فعزم على الاستقرار بها نهائيا وأخذ الحكم بيد من حديد واتخذها عاصمة له، فرأى أنه لا ينتسب له الأمر إلا بتمهيد أهل الجزائر ، فقتل سليم التومي بعد الدخول عليه في الحمام واغتاله بمعاونة خادمه وصاحب أسراره رمضان شاوش واتهم الغير بقتله .

لكن أهل الجزائر تفطنوا لذلك وشعروا انه يريد الاستيلاء على الحكم والطمع في الإمارة، فتمردوا بالاستعانة بالجيوش الاسبانية ومؤامرة يحي ولد سالم التومي الذي فر إلى وهران عند الإسبان خوفا على نفسه من القتل مثل أبيه فوجهه والي وهران إلى الماركيكو ماريس إلى اسبانيا حيث التقى الوزير الأول الكاردينال خيمينيس الذي وعده بإعطائه النجدة ورده إلى عرش أبيه، وكان سبب مقتل سالم التومي هو التهمة التي وجهها إليه عروج بكونه تحالف مع العدو،

والحقيقة أن سالم التومي حس بالخطر عندما نزل عروج وأخوه بالجزائر وعزما على اتخاذها مركزا لهم .

ثار أهل الجزائر على عروج وحاولوا أن يضعوا يحي بن سالم التومي على عرش والده ودبروا مؤامرة مع الجيوش الاسبانية المرابطة في الصّخرة واتفقوا مع القائد بان يحرقوا سفن عروج في المرسى وحينها يخرج الجنود الأتراك لإخماد النار ويغلقون الأبواب عليهم ويقتلون عروج وينصبون ابن سالم التومي، لكن عروج تفطن لمكيدتهم ولم يشعرهم بذلك ومترقبا الفرصة حتى ينتقم منهم ويأخذ بالثأر ودام تربصه مدة بينما كان أعيان البلد مجتمعين في المسجد لأداء صلاة الجمعة قتل منهم اثنين وعشرين وأصحابه متفرقون في المسجد قصد شد عضده[97]وبذلك أصبح عروج منفردا بالحكم لا يزاحمه فيه أحد فتفرغ للحكم وبويع له بالملك وأعطي لنفسه لقب السلطان.

II. ثورة السويد

كانت ثورة السويد من بين الثورات التي دامت أكثر ما يزيد عن القرنين حيث قامت بغرب الجزائر المشهورة عند العامة (بثورة المحال) عندما احتل الأتراك الجزائر كانت لهم إمارة بتنس تمتد من قبر الرومية شرقا إلى مصب نهر الشلف غربا قرب مستغانم فقد شاركوا في حروب بني مرين مع بنو زيان .

ولم نجد واحدا من المؤلفين ذكر هذه القبيلة في قائمة القبائل المتعاونة هذا لا يمنع أنهم ثاروا على الأتراك وحاربوهم ما يزيد عن القرنين ولما عجزوا اختاروا الجلاء بدلا من الاستسلام.[98]

وهي ثورة قبيلة سويد العربية ضد العثمانيين وقاعدة هذه الثورة مدينة تنس البحرية التي كانت قاعدة لحكم سويد قبل مجيء العثمانيين حيث كان لسويد علاقة بشيوخ الثعالبة الذين كانوا يحكمون متيجة ومدينة الجزائر عند مجيء العثمانيين، حيث تأثروا لامقتل سليم التومي على يد عروج ويبدوا أن العثمانيين قد أجلوا سويدا عن أماكنهم في تنس بعد وفاة زعيمها حميد العبد وقد سجل الشعر الشعبي هذه العلاقة بني سويد والعثمانيين فالشاعر ابن السويكت السويدي روى

المعارك التي دارت بين قومه وبين العثمانيين. كما تحدث عن جلاء قومه وبمعنى آخر عن هزيمتهم وذلك في قوله:

الترك جاروا والسويد أعقابهم طافحين *** والترك شاربين كهبال في سلطة

اداكم الطمع في مطافل امتمقين *** اسويد ما يطيعوا الترك قتاله

يصف الترك بالجور والحماقة والطمع والوحشية قتالة لذلك لم تطعهم سويد الشجاعة حيث يذكر المؤرخون أنه كان لسويد ماض حافل وكانت تحكم مساحة شاسعة تمتد من مستغانم غربا إلى العطاف شرقا ثم امتد نفوذها إلى ضواحي مدينة الجزائر وكان لها قادة يحكمون إمارة تنس، فالوجود العثماني إذن كان يعني نهاية هذا المجد والثروات التي تنتجها الأراضي الخصبة التي كانت تحت أيدي السويد ، اختلف المؤرخون في سبب هذا التمرد ولا شك أن رؤساء القبيلة كان لهم التصرف المطلق في أقطاعاتهم وكان الملوك كثيرا ما يخضعون لهم رفضوا الخضوع للأتراك وقد لخص أحد شعرائهم سبب هذا التمرد واختيارهم للاستمالة في المقاومة في بيتين فقال:

قالو الترك ندوا(شلف) لا وهمة *** قلنالهم جذورنا في الواد

ما نتركوش(شلف)حتى تطيب الصمة *** ومانهدوش العقبةعلى الأولاد[99]

كانت الحرب بينهم وبين الأتراك في أول التمرد سجالا وأكثر المعارك كانت في موطنهم الأصلي(الشلف)

الهوامش :

93- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر ،د.س، ص ص 112.110.

94- عبد الحميد بن زيان بن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر، د.ط، مكتبة جواد سماعي، شارع نورمندي، الجزائر ، ص 45.

95- مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، ط1، شركة الاصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2010، ص ص 105.106

96- مصدر نفسه، ص107

97- سامح عزيز التر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية،بيروت ص.ص 51.49

98- سامح عزيز الترك، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية،بيروت ص.ص 51.49

المحاضرة الثامنة :

ثورات القرن السابع عشر 17 م

ثورات الكراغلة :

1- ثورة 1621م

2- ثورة 1629

3- ثورة 1633

4- ثورة أحمد الصخري 1637م

5- ثورة بلاد القبائل 1649م

ثــورات الكـــراغلـــة

1- ثورة 1621

جرت هذه الثورة بالجزائر في عام 1621م فقام بها الكراغلة وأيضا المسيحيون المنخرطون في الحرس الأهلي الذين عملوا على السيطرة على القلعة كرد فعل استبداد للباشوات فبعدما أصبح الثوار سادة على المدينة قام الأتراك والأعلاج بهجوم قوي فتك بالثوار فالقي عليه القبض لينفذ عليهم حكم الإعدام وبعدها ترمى رؤوسهم على أصوار المدينة ومن بقي من العنصر الكرغلي فقد طردوا من الحرس الأهلي ومنعوا من دخوله إلى أمد بعيد ففي ضل هذه الواقعة أضرمت النار في جزء من القلعة .[100]

2- ثورة 1629م

نظم الكراغلة مؤامرة ضد الأتراك فلهذا الغرض اجتمعوا في حصن الإمبراطور، فعندما علم الأتراك بهذه المؤامرة فكروا في وضع خطة لإحباط المشروع فألبسوا عدد من إفراد بني مزاب ملابس نسائية ثم تقدموا إلى حصن الإمبراطور كأنهن نساء هربن من ظلم الأتراك ولما فتح الكراغلة لهم الباب هاجموا هؤلاء الإفراد بمساعدة فوج من الأتراك فتمكن الأتراك في يوم 29ماي 1629م من اعتقال اكبر المتورطين في التمرد من الكراغلة والرياس في بجاية وتمكنوا من السيطرة على الأوضاع وعلى اثر هذا الحادثة طرد الكراغلة من الجزائر وتفرقوا في مناطق مختلفة بعضهم استقر في واد الزيتون والبعض الآخر في ضواحي زمورة ومنهم من التحق بمنطقة القبائل الجبلية التي كان أهلها آنذاك في حالة حرب ضد الأتراك .

أيضا قرر الأتراك بعدم السماح للكراغلة باشتغال المناصب السامية فقد عزل كل من اشتغل منهم وظيفة حساسة في ذلك حين فإن كل كرغلي يصل إلى المرتبة السابعة بعزل وبهذه الطريقة لم يتمكن أي احد منهم أن يشتغل في البلاط .[101]

3- ثورة 1633م

لقد كان من أهم القرارات لديوان ضد النفوذ الباشاوات إخضاع خزينة الدولة للإدارة وإرغام الباشاوات على دفع مرتبات الجنود فجاء هذا الحدث ليشعل نيران ثورة 1633م التي تزعمها عناصر الكراغلة الذين عملوا على مهاجمة مدينة الجزائر وحصار القوات التركية بالقصبة والسبب راجع إلى عجز الولاة على دفع مرتبات الجنود فحدثت بالمدينة مجزرة عنيفة بسبب انفجار مخزن البارود وانتهى بسيطرة الرايس علي بتشيني فهو صاحب السمعة والشهرة الواسعة بالجزائر وأيضا في البلدان الأوروبية وبفضل الانتصارات الباهرة التي أحرزها الأسطول الجزائري في البحر الأبيض المتوسط والأطلسي وبحر الشمال .

فلم تمضي سنوات على ثورة الكراغلة بالعاصمة فاشتعلت نيران ثورة أخرى في أعماق صحراوية إلى منطقة القبائل الكبرى فتعرض الحكم التركي إلى هزات عنيفة في أكثر من ميدان نتج عنها اضطراب كبير في سير الإدارة بالجزائر نفسها .[102]

4- ثورة احمد الصخري 1637م

حدثت ثورة ابن الصخري سنة 1637م في الشرق الجزائري خلال العهد لعثماني فقد هزت هذه الثورة أركان النظام العثماني وكادت تطيح به لأنها شملت المنطقة الواقعة بين الزاب وحدود تونس إلى حدود دار السلطان واستغرقت فترة طويلة وتسبب في سقوط عدد من الباشوات ومات فيها خلقا كثير وقد دخلت فيها قسنطينة في فوضى لم تبرأ منها طويلا ورغم أن وثائق هذه الثورة مازالت نادرة فإنه يمكن القول أنها كانت من الثورات القبلية الاقتصادية وخلاصتها أن شيخ العرب محمد بن الصخري بن بوعكاز العلوي الهلالي قائد الذواودة و الحنانشة الصخري من رؤساء الذواودة الثائرين على الأتراك قد زار مراد باي حاكم قسنطينة سنة 1047هـ في مكان خارج المدينة ولكن الباي اتهمه بالخروج من الطاعة وامسكه سجينه وأمر بقتله، بعد عام ثار احمد بن الصخري أخ القتيل وقاد جموع العرب والحنانشة والذواودة ضد العثمانيين وقد هاجم الثوار مدينة قسنطينة وجاءت النجدة من الجزائر إلى مراد باي حاكم الإقليم وامتدت الثورات إلى الزيبان والصحراء وعنابة [103]

5- ثورة بلاد القبائل 1643

كانت بلاد القبائل تحرص على الدوام على التمسك بإستقلالها بقيادة زعمائها المحليين من آل قاضي وبني العباس وقد سبب الكثير من المتاعب للبايلربيات وقد استخدموا القوة والدبلوماسية لإخضاع هذه المناطق فأخضعوه مؤقتا وفي عهد الباشوات ظهرت أسباب أخرى أدت إلى قيام الثورة في بلاد القبائل استمرت بصورة متقطعة طيلة هذا العهد كان الباشاوات يطمعون في المزيد من الثروة في اقصر وقت ففرضوا على بلاد القبائل ضريبة سنوية كبيرة لم يكن الأهالي مستعدين للقبول بها وقام الانكشارية بطرد عدد كبير من البرانيين وكان أهالي بلاد القبائل يجدون على الدوام حلفاء ضد الأتراك ولاسيما الغلوغلي ورجال الطائفة وقد ساعدهم هذا التحالف على الاستيلاء على السلطة سنة 1643م

وقد الحق الأهالي الهزيمة أكثر من مرة على الأتراك وشجعت منطقة القبائل المناطق الأخرى في شرق الجزائر وغربها وهكذا عمت الفوضى خارج الجزائر وتناقصت عائدات الضرائب التي كانت من الداخل إلى درجت انه بالرغم من تضخم واردات القرصنة فإن الواردات سنة 1634م لم تكن أكثر من واردات سنة 1580م وإذا ما تعرض الرؤساء للفشل يصبح الباشا عاجز عن دفع رواتب الجند وحينئذ يتعرض للعزل والسجن [104]

وقد سعى الإسبان لتشجيع القبائليين آملين الاستيلاء بمساعدتهم على بعض النقاط الساحلية ولكن هذا التعامل لم يكن مثمرا.

الهوامش :

99- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي، طبعة خاصة، 2013، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 39

100- 1صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ الى غاية الاستقلال، دار الهدى للنشر والتوزيع،ص123.

101- صالح عباد ،الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)،دار هومة للنشر والتوزيع، 2012،ص11

102- 1حنيفي هلايلي، المرجع نفسه،ص15

103- أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، عالم المعرفة الجزائر، ص216.

104- المرجع نفسه، ص 2019

المحاضرة التاسعة :

ثورات القرن الثامن عشر 18 م

I. ثورة أولاد نايل 1772 م

II. ثورة الأوراس – ق 18 م

III. ثورة الزواوة

I.ثورة أولاد نايل 1772 م

هي قبيلة واتحاد قبلي يستوطن جبال أولاد نايل في الجزائر يتواجد بشكل رئيسي في مدينة بوسعادة بالمسيلة والجلفة، وبسكرة، لكن هناك أيضا عدد كبير منهم في ولاية غرداية حول منطقة أجدادهم.

كانت قبيل أولاد نايل الكبيرة في حالة تمرد على سلطة باي التيطري، هذه القبيلة كانت تتمرد كثيرا، امتنعت عن دفع الضريبة عدة سنوات وكان الباي عثمان قد حاول إجبارهم على الدفع، لذا نظم حملة ضدها غير أنه قتل من طرف عشائرها وهي عشيرة أولاد سيدي أحمد [105]ولم يجرؤ البايات الذين جاؤوا بعده على مهاجمة قبيلة أولاد نايل مرة أخرى، إلى أن جاء الباي صفطة الذي نظم حملة عليها سنة 1772، لكن أولاد نايل علموا بها قبل وصولها، فكان لهم الوقت الكافي لتنظيم دفاعهم[106] استدرجوا الباي إلى المكان الذي اختاروه بأنفسهم فألحقوا به هزيمة نكراء بحيث قتلوه هو والكثير من جنوده، ومن فرسان المخزن، تطلب الأمر تدخل باي الشرق الباي صالح، نظم هذا الأخير حملة قوية ضد القبيلة الكبيرة وانتصر عليها في معركة مالح أو مسيف جمع الكثير من الغنائم، بعث بجزء منها إلى الداي بعد أن عاد إلى قسنطينة في أكتوبر 1773 كما بعث إلى الداي كذلك بستين رأسا من رؤوس أولاد نايل وأربعمائة زوج من آذانهم مع هذا تبقى القبيلة مصدر مشاكل للسلطة[107]

II.ثورة الأوراس ق 18

هي ثورة دينية ظهرت في جبال الأوراس فقد كان شيخ يحي الأوراسي رجلاً عالماً مدرساً بمدينة قسنطينة وكان من تلاميذ عمر الوزان، تولى الإفتاء في الجزائر قسنطينة وكان في أول أمره صاحب نفوذ لدى أهل الدولة الذين كانوا يعتقدون فه الصلاح حتى أنهم كانوا لا يقطعون من دونه أمرا وقد إنتهى غلى التصوف وأسرار الحروب وله سلسلة و وخرقة على عادة المتصوفة، حيث أن حساده وشوا به إلى السلطة بالإضافة إلى العامة يعتقدون فيه الصلاح فخلع البيعة وفر إلى قسنطينة إلى جبال الأوراس مع أخيه أحمد وقد جرت الحروب بينه وبين العثمانيين انتهت بفشلهم من إلقاء القبض عليه، [108]ولكن الموت جاءه فوراً ولعل ذلك كان من دس العثمانيين من بعد ما فشلوا في قتله في الميدان، لعل ذلك فإن ثورته قد استمرت على أخيه أحمد، ولعلى الشيخ يحي الأوراسي في نظر الفكّون كان يستعمل الصلاح التصوف، بالإضافة إلى التدريس والإفتاء حيث انكشف أمره وخشي العاقبة ، لجأ إلى الثورة ضد اللذين أنعموا عليه بالوظائف واعتقدوا فيه الصلاح وكانوا لا يقطعون دونه أمره.[109]

الثورة كانت شخصية وكان لها أهمية في المنطقة كلها ذلك أن العثمانيين قد جندوا لها قوات كبيرة دون نتيجة، فالفكّون لا يعطي تفاصيل عن هذه الثورة ولكنه يستعمل تعابير تدل على قوتها وطول مدتها ولم يحدد تاريخ محدد لها .

III.ثورة الزواوة

شبيهة بثورة المحال كانت زواوة ممتنعة على العثمانيين كما كانت تدفع لهم ضريبة الاستلال الداخلي.

يعتبر محاولة توغل العثمانين في زواوة وفرض الضرائب الجديدة على أهلها نتيجة النقص في غنائمهم الحر هو العامل الرئيسي وراء هذه الثورة حيث خرج أهل زواوة ضد القائد العثماني يمد الغريرا المشهور بالذباح ولأهمية زواوة أنشأ العثمانيون فيها قيادة خاصة فيسباو والتي فصلوها عن اقليم التيطري فاستولى الزواويون على برج قلعة يونحي وبعد شهر استولوا على برج حمزة " البويرة اليوم " وتمكنوا من قتل قائد الحامية العثمانية في سباو وهو محمد الذباح[110]

استمرت الثورة مدة سنة على الاقل وأزعجت السلطات العثمانية وجندت لها جيشا من العاصمة بقيادة شريف آغا ومن المدية بقيادة الباي سقطان ومن قسنطينة بقيادة الباي أحمد الغلي، وبذلك وضع حد لهذه الثورة الخطيرة على الوجود العثماني وقد صور ابن حمادوش الجزائري هذه الثورة بشيء من العاطفة والتأثر ثار قبائل زواوة على القائد محمد قائد سباو الذباح فبعث إلىإبراهيم باشا فأمده آغا الصبايحية الفرسان نحو جانبه فرقة يولداش فلم يأت اجتماع الشمس والقمر حتى هلكت دستور القبائل[111]

الهوامش :

105- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 210-211

106- https://ar.wikipedia.org/wiki/جبال أولاد نايل

107- حنيفي هلايلي: الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، جامعة سيدي بلعباس، ص 189-190.

108- 1 ابو القاسم سعد الله : المرجع السابق ،ص 2018

109- 1المرجع نفسه، ص 219.

110- 1الزواوي أبو يعلي ، تاريخ الزواوة ، منشورات وزاروة الثقافة ، الجزائر ، ط 1 ، 2005 ، ص 28.

111- 1 بشير حاج، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد 37، ص 87 .

المحاضرة العاشرة :

ثورات القرن التاسع عشر19 م

I. ثورة ابن الاحرش

II. الثورة الدرقاوية

III. الثورة التيجانية

I. ثورة ابن الأحرش

اسمه محمد بن عبد الله الشريف المشهور عند العامة بالبودالي نسبة إلى أبدال الصالحين [112] زعم انه صاحب الوقت وان دعوته مستجابة والنصر يتبعه حينما يتوجه يقال له السيد احمد ابن الاحرش فتى مغاربي مالكي مذهبا درقاوي الطريقة درعي نسبا جاء لتلك القبائل وادعى انه الإمام المهدي المنتظر كان صاحب شعوذة وحيل مما جعل الناس يتبعونه .

هناك من ارجع سبب قيام الثورة أن الشريف تعرف على بعض القادة الانجليز بمصر فحرضوه على القيام بالثورة إلى جانب ذلك رغبة باي تونس حمودة باشا إلى إحداث عراقيل لحكومة أيالة الجزائر التي كانت على علاقة سيئة معها فاستغل حمودة باشا الفرصة لتحريض ابن الاحرش على الثورة ضدها .[113]

انتقل ابن الاحرش إلى قسنطينة واتخذها مركزا له ثم انتقل إلى جيجل ونصب نفسه واليا عليها ثم ادعى انه له كرامات من نسب الشريف ليكسب تأييد العامة كما كان ابن الاحرش قرصانا ليستولي على السفن البحرية وبما انه تلقى تعاليم الطريقة الدرقاوية فقد ساعده ذلك في توسيع نفوذه كثيرا.[114]

وفي صيف سنة 1804م أخذ ابن الاحرش يجمع الناس ويحرضهم على حمل السلاح ومهاجمة قسنطينة وقد فشل الهجوم الأول بسبب قلة النظام والانضباط وقد كان الباي عثمان بك باي قسنطينة آنذاك خارج المدينة يقوم بجمع الضرائب وقد ترك خلفه احمد بن الحاج بياض بقيادة قواته لقمع المتمردين وقتل خلالها العديد منهم وتوسع نفوذه بسرعة كبيرة حيث أيده المرابطون وهذا ما ساعد في انتشارها وتأييد الشعب لها وقد وجد الأتراك صعوبة في القبض على ابن الاحرش والقضاء على التمرد كما استعصى عليهم تحريض السكان ضده كانت المدن تسقط في يد ابن الاحرش الواحدة تلو الأخرى. [115]

ولقد اختلفت الروايات في نهاية ابن الاحرش فمنهم من قال انه اختفى ثم ظهر من جديد محاولا استمالة بعض القبائل في بجاية وجيجل فقام باخر معركة الرابطة التي يقال انه قتل فيها. ويقول احمد الشريف الزهار وضيق عليه البلاد إلى أن هرب إلى الناحية الغربية فقتله ابن الشريف (الثائر بها) وأطفئت نار الفتنة من الناحية الغربية الشرقية .

أولا : أسباب فشل ثورة ابن الاحرش

- عدم تمكن الطرقة الدرقاوية من إيجاد أنصارها بالشرق الجزائري وذلك لكون العشائر و القبائل كانت تدين بالولاء لشيوخها الذين ينتمون اغلبهم للطريقة الرحمانية المهادئة للأتراك والمتعاونة مع سلطات البايلك والدليل على هذا القول انتقاله الى الغرب الجزائري بعد أن فشل في إيجاد أتباع لطريقة الدرقاوية التي يتزعمها حيث لم ينضم إليه من شيوخ الزوايا والمرابطين سوى من كان ناقما على الباي عثمان مثل محمد بن عبد الله الزيوشي والمرابط بن بغريش [116]

- انتهج البايلك سياسة الترغيب والترهيب التي أعطت نتائج ايجابية ومكنت في آخر الأمر من عزل ابن الاحرش عن اغلب القبائل التي ناصرته في أول الأمر ففي هذا المجال بادر رجال البايلك الى منح مكافآت وإعطاء الوعود تخصيص الهدايا لأعيان المدن وشيوخ القبائل والزوايا الذين ابدوا معارضتهم لابن الاحرش[117].

- عدم تلقية المساعدات المادية والبشرية من أطراف الخارجية التي وعدته قبل قيام الثورة ونفي الانجليز وباي تونس حمودة باشا ومشايخ الطريقة الدرقاوية في المغرب الأقصى.

- إعلان ابن الأحرش ثورة على السلطة الحاكمة قبل أن تنتشر دعوته انتشارًا واسعًا بين أوساط الجماهير وربما يرجع تسرع ابن الأحرش في اتخاذ قراره في إعلان الحرب هو اعتقا ده أن الظروف كانت مواتية إذ كانت الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر تعاني من ضغوط الدول الأوروبية [118]

- تخلي السكان عن ابن الأحرش نذكر من بينهم سكان جيجل الذين أوفدوا بأعيانهم إلى مدينة الجزائر تحت قيادة المرابط سي محمد أمقران فحصلوا على عفو الداي ثم نقلهم الرايس حميدو إلى مدينتهم[119]

ثانيا : نتائج ثورة ابن الاحرش

- خلفت خسائر مادية وبشرية فادحة من أموال وأرواح وأسلحة فلم ينجو الا القليل من جنود الأتراك المؤلفة من أربعة إلا فوق ليل منفرق الزواوة هذا زيادة على ضياع بنادق وترك أربعة

مدافع في الميدان وموت الباي عثمان سنة 1814 م و تفت خزائنه وكلما احتوت عليهم أرزاق وأموال وذخائر.

- اضطراب في الاحوال الاقتصادية حيث اهمل الجانب الفلاحي وتخلالن اسعن الحرث من كثرة الهول والاضطرابات فنزل القحط الشديد اضر بسكان قسنطينة في بسال زرع وقلة الحبوب فقليل من يأتي بها الى الأسواق خاصة الطرقات لانعدام الامن

- حلت بالبلاد مجاعة كبرى سنة (1804-1805) مست سكان الريف والمدن على حد سواء والتي تعتبر من اخطر المجاعات دامت ثلاثة سنين متوالية أدت إلى هلاك الكثير من الناس إلى درجة أن الناس صاروا يقتاتون الدم والميتة وكل ما هو محرم أكله.

- انتشار حركة تمرد واسعة النطاق في اوساط القبائل الجبلية شملت الجهات الشرقية والوسطى من البلاد الجزائرية حيث تجاوبت معها قبائلا ولا دنايلو الجنوب التي امتنعت عن دفع الضرائب ورفع السلاح في وجه رجال البايلك وزادت من حدة التنافس الانجليز الفرنسي على اكتساب مناطق النفوذ والحصول على امتياز اتبال إيالة الجزائرية هذا ماجعل الكثير يعتقدون في بادى الامر ان ابن الاحرش يتعامل مع الفرنسيين .

- انتشار الأمراض والأوبئة بسبب المجاعة فمات الجل من الناس والعلماء كالعلامة الامام والفهامة الهمام الشيخ عبدالقادر بن السنوسي الذي توفي بمرض الطاعون واخيه الفقيه السيد الهاشمي وغيره موقد تزامن ذلك مع اجتياح الجراد قسنطينة سنة 1804 مما أفسد الزرع والثمار .

- اقتنع سكان الأرياف بامكانية الثورة على سلطة البايلك ورفض دفع الضرائب والمطالب المخزنية وعدم الرضوخ لأحكام الجائرة وشجعت بعض الدعاة على التمرد مثل الثائرالذي ظهر بعد ابن الاحرش رجل ادعى انه حفيده وواصل المقاومة في الجهات الشمالية والشمالية الغربية من البايلك.

الخلاصة :

من خلال ما سبق من هذه الدراسة التاريخية التحليلية لثورة ابن الاحرش توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- كانت ثورة ابن الاحرش من أهم واخطر الثورات الشعبية في القرن التاسع عشر والتي حملت شعارات دينية وكانت تعبر عن المظالم والقهر التي كانت تعاني منه الأرياف الجزائرية أواخر العهد العثماني وتهدف إلى وضع حد لانتشارها

- تلقت ثورة ابن الاحرش مساعدات من الدول الأوربية كفرنسا الإنجليز وإيالة تونس حمودة باشا إضافة إلى شيوخ ومرابطي الطريقة الدرقاوية

وبالرغم من الدور الذي لعبته ثورة ابن الاحرش من اجل سكان قسنطينة إلا أنها باءت بالفشل حيث نتج عنها خسائر مادية وبشرية وانتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات في بايلك الشرق.

II. الثورة الدرقاوية:

قاد إتباع ابن الشريف الدرقاوي ثورة عنيفة ضد الأتراك في بايلك الغرب ولقو تأييدا من القبائل في الغرب وكانت فكرة العصيان من الأتراك موافقة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي ولعل ما نسجله على الثورة هو هزيمة قبائل المخزن الموالية للجهة العثمانية أمام القبائل الممتنعة التابعة للدرقاويين تذمر ابن الشريف لشيخه من الحالة التي يعيشها الأهالي خاصة الدرقاويين منهم لأنه كان يقص على شيخه ما هم فيه من إهانة المخزن لهم. رجع ابن الشريف من المغرب إلى الجزائر واشتغل بالتربية والتعليم واستحدث أمورا منها لبس الخزق المرتعة واتبعه خلف كبير خاصة من أهل الصحراء، فلما توفر له العدة والعتاد استشار شيخه فقال لهم. انصرهم والله ينصرك على القتال ضد الأتراك والمخزن محللا لدمائهم وأموالهم.[120]

دعى ابن الشريف لنفسه وادعى المهدوية أي أنه المهدي المنتظر وصاحب العصر ويؤكد هذه الحقيقة كل من الزهار والأمير محمد وما جاء في رسالة بعثها الداي عمر باشا إلى السلطان العثماني أن ابن الشريف ادعى المهدوية وخصها، أما واجبهم فهو محاولتنا بإرساله مالا وباق و الأسلحة خصوصا عندما ظهر هذا المهدي الكاذب منذ خمسة عشر سنة في غرب البلاد وشرقها وتبدأ أحداث الدرقاوية في عهد الداي مصطفى العجمي بعض الفشل فتوجه ابن الشريف قاصد المخزن والتقى الجيشان بفرطاسة هزم الباي مصطفى وفر نحو أم العساكر كانت هذه الواقعة بين يوم الأحد الثامن ربيع الأول وتوفي اثر هذه المعركة كل من أحمد بن هطان التلمساني والعلامة أبو عبد الله السيد محمد الغزلاوي.

بعد ما فر الباي نحو معسكر ثم نحو وهران فلحقه بعض العرب فكان كلما اقتربوا منه يأمر من معه بوضع صندوقين من الأموال التي يحملها معه فيشغل العرب بالنهب فإذا أتموا ذلك لحقوا به يأمر بوضع صندوقين آخرين وهكذا إلى أن دخل وهران وأغلق الأبواب.

لما سمع الشيخ مولاي العربي رئيس الطريقة الدرقاوية حاول إخضاع ابن الشريف وإقناعه بالعدول عن مسعاه ولكن هذا الأخير رفض وفي هذا الوقت تدخل الرايس فأرسل ..... وحوله بالجنود فأنسحب الدرقاوي بعد ما خسر بعض من إتباعه ولما عاد إلى معسكر قتل أتباعه وقتلوه.

كانت طبيعة نظام الدولة جمهورا مطلقا بالإضافة إلى تعفن الجهاز الإداري وانتشار الرشوة والفساد، هو أهم سبب لقيام الثورة الدرقاوية ، بالإضافة إلى عدم مراعاة الحكام لوضعية الفلاحين ولطبيعة الإنتاج ولا للوسائل المستعملة ما زاد في تضرر الفلاحين.[121]

ومن أسباب فشل الثورة الدرقاوية ونهايتها :

– الصراع القائم بين الطرفين الدرقاوية والقادرية مما جعل هذه الأخيرة تناصر العثمانيين ضد ابن الشريف الدرقاوي

– فشل ابن الشريف في توحيد الجهود مع الطريقة التيجانية بالثورة ضد الأتراك وذلك بسبب الضغوط التي كانت مسلطة عليها من البايلك.

– فشل ابن الشريف وجيشه في اقتحام مدينة وهران التي حاصرها لمدة 8 أيام.

III. الثورة التيجانية

إسمه الكامل هو محمد ابن أحمد ابن المختار التيجاني المعروف بمحمد الكبير التيجاني أو التيجني كما ورد في بعض المصادر وهو في قرية عين ماضي قرب الأغواط وقيل أن أجداده من الأشراف، ينتهي نسبهم الى حسن بن علي ابن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان والده سيد محمد التيجاني رجلا صالحا زاهدا عابدا صاحب طريقة. نشأ أحمد التيجاني وسط عائلة ذات مستوى علمي وانتمائها للتصوف فشب على التدين واتسم بالأخلاق الكريمة بحيث تلقى حفظ القرآن الكريم وهو ابن 7 سنوات وتلقى مبادئ العلوم على يد شيوخ أجلاء ،بحيث نبغ في علوم الفقه والتفسير والحديث وأكمل دراسة التصوف فسافر في طلب ذلك من بلد إلى آخر حتى بلغ مراده.

أولا : أسباب قيام الثورة

لم يقم الأتراك العثمانيين المناصب بالجزائر حكومة شعبية،بل كان هناك حكام سيعتنون في تصريف أمورهم بالطائفة من الأعوان والوزراء يشرفون على نفر الجند في البر والبحر وفي نفس هذا الوقت كانت البلاد فقيرة جدا وهذا راجع لعدم استغلال موارد الرزق في البلاد، وفي هذه الأثناء انتشر الظلم والزير واحتقار الأهالي والعمل على الاستبداد بالحكم والانفراد دون أهل البلاد الأصليين وإبعادهم عن المناصب الرئيسية لهم إلا ما كان من مناصب ثانوية تافهة ليست ذات أهمية الكبيرة ولا شأن لها كما جعل الأتراك العثمانيون المناصب ولوظائف الحكومة لعليا كلها مقصورة على فئة الانكشاريين واضطهاد السلطة العثمانية للشيخ أحمد التيجاني ومحاولتهم شل طريقة والقضاء عليها.[122]

لقد أثارت عودة أبناء سيدي أحمد التيجاني إلى البلاد مخاوف السلطة الحاكمة لذا أصدرت أوامرها للباي حسن وهران بأن يراقب تحركات التيجانيين، وتنفيذا لهذه الأوامر خرج باي وهران إلى الجنوب الوهراني لجمع الضرائب فامتنع أهل عين ماضي عن دفع الضرائب المقررة عليهم وعندئذ قام الباي حسن بمحاصرة قريتهم حتى تم وقوع الصلح بينهما .

تعتبر هذه الحملات المتتالية أحد الأسباب المباشرة التي دفعت محمد الكبير التيجاني الى التمرد ولما أنهى استعداداته وجمع عدد كبير من الأنصار أمر أتباعد بمهاجمة مدينة معسكر 1826م، في نحو 600 من رجال عين ماضي وأصحاب الزاوية التيجانية ومعهم جمع غفير من الصحراويين والحشم ووصل هذا التأثر إلى معسكر ودخلها ثم خرج منها والتقى بجيوش الباي بجيوشه واشتبك معه في حرب عنيفة، كانت خاتمتها سحق هؤلاء الثوار التيجانيين ومن بينهم محمد الكبير، وتعود أسباب فشل الثورة التيجانية الى نفس الأسباب التي أدت إلى فشل الثورة الدرقاوية.

ثانيا : نتائج الثورة التيجانية

نجم عن تمرد الطريقة التيجانية عدة نتائج منها اتساع الهوة بين السلطة العثمانية والمتصوفة زيادة على سقوط العديد من الضحايا قتلوا بأبشع الطرق بعد إقدام الباي حسن على التصفية الجسدية لكثير من العلماء وشيوخ المتصوفة أمثال الشيخ بلقندوز التيجاني والحاج محمد البوشيفي وكل هذا أدى في الأخير إلى هجرة الكثير من أتباع الفكر الطرقي إلى خارج خاصة المغرب الأقصى إخفاء طابع الشرعية على الثورات الدينية التي قامت من الحكم العثماني، كما أن الخطورة التي شكلها التيجانيون في وجه السلطة العثمانية والتي وصل صداها حتى مقر الخلافة، جعل الحكام والأتراك يكنون العداء والكراهية لتعاليم وعقائد الطريقة التيجانية.لقد ألحقت هذه الثورة أضرار جسمية في التيجانيين حيث قدرت الحصيلة ما بين 300 إلى 600 وعدد كثير من جيش الباي.[123]

لقد كان الانسحاب أهل الحشم أثرا بارزا بين التيجانية وهؤلاء بل كان من الأسباب التي جعلت محمد الحبيب يتحفظ من الأمير عبد القادر، بعد الثورة تركز نشاط التيجانية على مناطق الجنوب وأحكام سيطرتها على طريق الحجيج الرابطة بين المغرب وتونس وبين غرب إفريقيا والمشرق عبر الصحراء الجزائرية.

إن هذه الانتفاضة تعتبر صرخة كبقية الصرخات المقاومة للظلم والجور كما كانت من الأسباب التي أنهكت قوى السلطة المركزية وأضعفتها.

ثالثا : طبيعة ا لعلاقة بين السلطة الحاكمة والطريقة التيجانية

اتسمت العلاقات بين السلطة العثمانية والطريقة التيجانية بالنفور والعداء والمواجهة في آخر الأمر:

1- أسباب توتر العلاقات

بعد رجوع أحمد التيجاني من الحج واستقراره في تلمسان بدأت شعبيته تكبر وأتباعه يزيدون، ويقول صاحب زهرة الشماريخ... فلما رأى والي الجزائر ما وصل إليه التيجاني خشي عاقبة أمره وكتب لمتصرف الصحراء ببسكرة بطرده من عمله وأن يشهر قبائل الأغواط وبني توجين بالبراءة منه أو يبعث الجيوش لحربهم، بقي البايات يلاحقون أحمد التيجاني، حتى أخرجوه من تلمسان.

2- معارضة السلطة العثمانية لعقيدة التيجانية

بروز الطريقة التيجانية أثارت ضجة في وسط بعض العلماء والفقهاء ودعاة التيار السلفي وبالتالي الحكام، حيث يذكر صاحب زهرة الشماريخ وفي غضون ذلك صدرت منه(التيجاني) مقالات ورأت الحكومة الإقبال عليه، وتوجه الخاصة والعامة إليه فأمرت الباي محمد بن عثمان فتصرف وعقد لذلك المجالس العديد، واختلفت آراء علماء الوقت في شأنه وتضاربت في براءة ساحته وإتمام أفكار العارفين وصدر أمر باعتقاله.

كما نجد في الجوانب الذي بعث به الشيخ محمد عبد الله الجيلالي رئيس مجلس الشورى في بلاط محمد بن عثمان فاتح وهران إلى الشيخ أحمد التيجاني تشكيك في تعليم وعقائد الطريقة التيجانية، كما تضمنت هذه الرسالة الحذر والاحتياط والنصح للشيخ نفسه.

3- الدافع الاقتصادي:

تزامن ظهور التيجانية مع إنتهاج السلطة العثمانية سياسة اقتصادية قائمة على الضرائب، بعد أن كانت تعتمد على غنائم البحر، فكان الدافع الاقتصادي إذا وراء تلك الحملات التي قادها البايات على الطريقة التيجانية بعين ماضي، هذه الطريقة التي استطاعت في ظرف قصير أن تجمع ثروة هائلة بفصل تحكمها في التجارة الصحراوية وحمايتها للقوافل، إضافة إلى

ما يجمع من الزاويا هذه الثروات أثارت طمع البايات فشنوا عليها الحملات وفرضوا عليها الضرائب الباهظة واستحواذ على خيراتها كلما تمكنوا منها.

4- لجوء الشيخ أحمد التيجاني إلى المغرب:

كما ضيق البايات الخناق على أحمد التيجاني هاجر إلى المغرب واستقر هناك ولقي كل الترحاب من قبل السلطات مولاي سليمان، حيث استقبله شخصيا ومنحه دار للإقامة فانتشرت دعوته بسرعة حتى في أواسط الطبقة الحاكمة، كما حظيت دعوته بالترحاب والإقبال من حكام تونس لاسيما لقاء التيجاني إبراهيم الرياحي.

هذا التقارب الذي حدث بين التيجانية والحكام في كل من المغرب الأقصى وتونس إضافة إلى الزيارات المستمرة التي كان يقوم أحمد التيجاني بعين ماضي، تلمسان، فاس، في الوقت الذي كانت فيه العلاقات على ما يرام بين هذين القطرين والسلطة العثمانية في الجزائر أثار مخاوف العثمانيين واعتبروه بمثابة مؤامرة سياسية تحاك ضدهم، بالتنسيق مع سلطان المغرب، مما دفعت إلى شن حملات أخرى على عين ماضي بعد عودة أبناء الشيخ التيجاني للاستقرار في الجزائر.

رابعا : موقف العلماء من التيجانية وثورتها

أسفرت ثورة التيجانيين على ردود أفعال متباينة من طرف العلماء بين مؤيد ومعارض لها ولعل من ابرز من عارض تعاليم التيجانية محمد بن عبد الله الجيلالي رئيس مجلس ببلاط الياي محمد لكبير.

إذ يرى أن تعاليم الطريقة التيجانية وعقائدها منافية للسلفية، فقد بعث برسالة إلى شيخ الطريقة التيجانية يحذره وينصحه فيه بالتمسك بمنهج السلف، وبخاصة عندما بلغه أن أحمد التيجاني يزعم أنه لا يوجد من بعد الصحابة رضوان الله عليهم إلى عصره.

و يظهر من رسالة محمد بن عبد الله الجيلالي أن هناك مقالات صدرت عن احمد التيجاني أنكرها عليه بعض معاصريه من أهل العلم، حتى وصل بهم الأمر بالتشكيك في تعاليم طريقته وبخاصة أن أحمد التيجاني، ادعى انه فتح له بطريقتين، مالم يفتح لغيره وبخاصة ولأحمد من قبله من الصحابة وهذا ما جعل البعض من العلماء الوقوف إلى جانب العثمانيين، في

محاربة ثورات الطرق الصوفية، ومحاولة الحد من تأثير الطرق الصوفية بالنصح والإرشاد والتوجيه.

لكن ليس العلماء كانوا في صف واحد ضد التيجانيين، فنجد بعضهم من دعم الثورة ومنهم أبو حامد المشرفي الذي لجأ إلى المغرب 1844كم، حيث تطرق في كتبه إلى الثورة التيجانية في رحلته الموسومة، اعتبر أن ثورة التيجاني اعتبرها إحدى مظاهر عدم رضا الشعب الجزائري عن الحكم التركي، فقد أشار إلى ذلك بقوله: "ومكان مع ابن السيد أحمد... ومن جاورهم وأعلنوا له النصر.

الخلاصة :

وفي الأخير نستنتج من هذه الثورة ما يلي :

- إن الثورة الشعبية التي قادتها الطريقة التيجانية في بايلك الغرب جاءت نتيجة تضييق الخناق من طرف السلطة العثمانية أحمد التيجاني وإجباره عن مغادرة عين ماضي.

- وعلى الرغم من أن الثورة لم تحقق أهدافها إلا أنها كانت من بين العوامل التي أدت إلى انهيار الحكم العثماني في الجزائر.

- أن تودي الأوضاع السياسية في الجزائر أواخر العهد العثماني جاء كنتيجة لفسادها نظام الحكم مما أدى إلى اضطرابات السياسة الداخلية.

- لقد أصبحت فئات المجتمع الجزائري يبحث عن قوة جديدة يحتمى بها بعد إرهاق من الضرائب من طرف السلطة العثمانية فوجدوا ذلك في مشاريع الطرق الصوفية ومن بينها الطريقة التيجانية.

الهوامش:

112- الاغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى اواخر القرن التاسع عشر ،ج1 ،تحيحي بوعزيز ،د.ط ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1990 ،ص299

113- صالح محمد ابن العنتري ،مجاعات قسنطينة ، تح : رابح بونار ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ، ،1979ص33

114- ناصر الدين سعيدوني ،الجزائر منطلقات وافاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية ،ط2 ،عالم المعرفة ،الجزائر ،2009 ،ص 288.

115- احمد الشريف الزهار ،مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر (1168-1246هـ /1754-1830م) ،تح : احمد توفيق المدني ،ط1 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1974 ،ص87.

116- ناصر الدين سعيدوني ،ورقات جزائرية ودراسات في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط1 ،دار الغرب الاسلامي ،تونس ،2000 ،ص 328 324.

117- ناصر الدين سعيدوني ،الجزائر منطلقات وافاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية ،ط2 ،عالم المعرفة ،الجزائر ،2009 ،ص 288.

118- ارزقي شويتام ،نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830) ،دار الكتاب العربي ،الجزائر ،2010 ،ص93.

119- صالح عباد ،الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830) ،دط ،دار الهومة ،الجزائر ،2012 ،ص195-200.

120- محمد بن عبد القادر الجزائر، ....في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بيروت، 1964، ص 115

121- حنفي هلالي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص 32.

122- محمد بن عبد القادر الجزائر، ....في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بيروت، 1964، ص 115

123- حنفي هلالي المرجع السابق ،ص 36

الباب الثالث:

الانعكاسات المختلفة للثورات المحلية

المحاضرة الحادية عشر :

الانعكاسات المختلفة للثورات المحلية أثناء الحكم العثماني

مقدمة

I. **نتائج الثورات المحلية أثناء الحكم العثماني على الصعيد العسكري**

II. **نتائج الثورات المحلية أثناء الحكم العثماني على الصعيد الاقتصادي**

مقدمــة

شهدت إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني العديد من الثورات الشعبية ضد السلطة الحاكمة قادها مرابطون وشيوخ طرق صوفية وشملت مختلف أنحاء البلاد وهي ناتجة عن توتر العلاقات بين السلطة والسكان نتيجة سوء المعاملة والبطش والسياسة تلك السياسات دفعت فئات المجتمع المختلفة لالتفات حول قيادات دينية تمثلت في شيوخ الطرق، بالإضافة إلى هذه الثورات ما خلفته من آثار ونتائج على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري

I. نتائج الثورات المحلية أثناء الحكم العثماني عسكريا

– فشل ابن الشريف وجيشه في اقتحام مدينة وهران التي حاصروها لمدة ثماني أيام وخاصة بعد دخول أغلب الحاميات العثمانية وتشتت جيش الباي مصطفى في معركة فرطاسة وذلك لقوة وحصانة مدينة وهران بالنسبة للثورة الدرقاوية

– فشل ابن الشريف في ضم سكان وهران إليه وقبائل المخزن إلى حركته لأنها تحالفت مع الباي للحفاظ على امتيازاتها.

– الصراع القائم بين الطرفين الدرقاوية والقادرية مما جعل هذه الأخيرة تناصر العثمانيين ضد ابن الشريف الدرقاوي.

– إن التجانيين بهذه الانتفاضة تحولوا للمرة الأولى من حالة دفاع إلى حالة هجوم.

– وعلى الرغم من أن الثورة لم تحقق أهدافها إلا أنها كانت من العوامل التي أدت إلى انهيار الحكم العثماني في الجزائر.

– إن هذه الثورات أنهكت البلاد والعباد سلطة وشعبا وكانت سببا هاما في الوضع الذي أصاب الجزائر فسقطت فريسة لأشبع استعمار في التاريخ البشري.

– الضرائب التي كانت مفروضة على الكراغلة فقد تعبوا منها وهذا ما دفع بهم إلى التمرد والعصيان لقد كانت هذه الثورات مدعمة من قبل القوى الخارجية وكان لبايات تونس وسلاطين المغرب دورا في هذه الثورات.

إن هذه الثورات الشعبية التي قادتها زعامات الطرق الصوفية لم تكن رد فعل على ظلم الأتراك كما يبدوا للبعض بل كانت في جوهرها ثورات تحريرية كان لها صدى في جمع مناطق البلاد.

الخلاصة :

على ضوء **ما تقدم نستنتج مجموعة من النتائج منها :**

- لقد كانت هذه الثورات مدعمة من قبل القوى الخارجية وكان لبايات تونس وسلاطين المغرب دورا في هذه الثورات.

- إن هذه الثورات الشعبية التي قادتها زعامات الطرق الصوفية لم تكن رد فعل على ظلم الأتراك كما يبدوا للبعض بل كانت في جوهرها ثورات تحريرية كان لها صدى في جمع مناطق البلاد.

- لقد خلفت هذه الثورات آثار ونتائج سلبية وإيجابية ليس على الصعيد العسكري فحسب بل على كل الأصعدة

II. نتائج الثورات المحلية أثناء الحكم العثماني على الصعيد الاقتصادي

كان الاقتصاد الجزائري في العهد العثماني يتراوح بين الانتعاش في بداية القرن السادس عشر حتى القرن 17 ،بسبب قدوم المهاجرين الأندلسيين الذين أدوا ادوار مهمة في زيادة إنتاج الأراضي الزراعية والصناعة والتجارة، ومن ثم التقهقر الذي أصاب الاقتصاد الجزائري بعد النصف الثاني من القرن السابع عشر الذي كان سببه الأوبئة والطاعون وسنوات القحط التي تعرضت إليه البلاد، وتأخر الطرق و الأساليب الزراعية والصناعة، التي لم تعرف كيفية تحويل المواد الزراعية إلى الصناعية وركود التجارة التي انعكست على جميع نواحي اقتصاديه

أولا : نتائج الثورات المحلية على الزراعة

كان الاقتصاد الجزائري يعتمد أساسا على الزراعة نظرا لاتساع الأراضي الزراعية، وخصوبة التربة واعتدال المناخ، وقد عرفت الزراعة في الفترة الأخيرة من أواخر العهد العثماني عده صعوبات، مما عرقل نموها وتطورها بسبب كثرة الضرائب، في هذه الفترة وذلك بعد أن ارتفعت قيمه الضرائب التي كانت مفروضة على الفلاحين فأصبح هؤلاء يدفعون ضعف المبالغ أن جعلهم يتخلون عن أراضيهم الزراعية، وينسحبون إلى الجبال والصحاري فارين من الجباية، ولقد أثرت الثورات على القطاع الزراعي حيث أدت هذه الاضطرابات الداخلية إلى وقت التعامل بين السكان الجنوب وبين سكان التلال، مما أدى إلى تراجع الحالة الاقتصادية[124] كما أدت إلى تكاثر الفتن واشتداد الأهوال التي حالت بين الفلاحين وفلاحة الأرض ،حيث نتج عن هذه الأزمة قلة الحبوب في السوق وارتفاعها ارتفاعا فاحشا ومنه يمكننا القول أن القطاع الفلاحي في أواخر العهد العثماني كان يشكل العمود الفقري الاقتصاد الجزائري غير انه غير عادل ولا يراعي طبيعة الإنتاج ولا وضعيه الفلاحين وحالتهم فهم لا يأخذون بعين الاعتبار إلا نوعيه الملكية ومتطلبات الخزينة وحاجات الموظفين وهذا ما زاد في بؤس الفلاحين وتراجع المردود الفلاحي[125].

ثانيا : نتائج الثورات المحلية على الاقتصاد

تعرضت الصناعة إلى نفس العوامل التي عرقلت الزراعة تعتمد على الإنتاج الزراعي والحيواني بشكل أساسي، لقد كان التدهور الذي أصاب القطاع الزراعي والحيواني انعكاسات المباشرة على القطاع الصناعي فعندما قل الإنتاج الزراعي والحيواني ارتفعت الأسعار لمواد

الخام، مما جعل الصناع يعانون من صعوبة الحصول على المواد الضرورية فاضطروا إلى دفع مبالغ ضخمة لشراء المواد القليلة المتوفرة في الأسواق، مما أدى إلى ارتفاع أسعار المصنوعات بسبب قلة الإنتاج[126]، فتعرض الصناع والحرفيون إلى أزمة اثر كساد مصنوعاتهم وانخفاض أسعارها، ويمكن أن نرجع هذه الأوضاع السيئة التي كانت تعيشها الصناعة الجزائرية في أواخر العهد العثماني إلى ثقل الضرائب وازدياد مطالب مالية إلى فرض الحكام على أمناء الحرف وألزموا الصناع بتسديد ضريبة شهرية لا تقل في أي حال من الأحوال عن 30 سنتيم، وفي بعض الأحيان يفرض على الصناع تزويد البايلك بمواد المصنعة بدون مقابل مثل حدادي مدينة مليانة الذين كانوا مطالبين بإمداد الأوجاق بما تحتاجه من أسلحة وسروج مجانا نظيرة سماح لهم بمزاولة مهنهم وبيع إنتاجهم في الأسواق الداخلية، وكانت المصنوعات تخضع لرسوم مرتفعه ويضاف إلى هذا أن النظام الضريبي حال دون تطوير العمران ودون ازدهار الفنون والصناعات الحرفية تفقد أسواق مهمة التي أثرت عليها كثرة الضرائب، كما أن الحروب مع الدول الأوروبية حالت دون تصدير مصنوعات إلى الخارج بكيفية منتظمة، ونجد كذلك انه في الوقت الذي اضطر فيه الصناع الجزائريين إلى رفع أسعار منتجاتهم لتغطيه الالتزامات المالية وتسديد الضرائب الثقيلة وإرضاء متطلبات البايلك، كان الحكام يقبلون على شراء المصنوعات الأوروبية ويعملون على تشجيع الاستيراد من الخارج وهذا ما ترك أثرا سلبيا على نوعية المصنوعات الجزائرية وحد من انتشارها[127]

ثالثا : نتائج الثورات المحلية على التجارة

إن الضعف العام الذي تعرضت إليه الجزائر في أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 لم يكن مقصورا على القطاع الزراعي والصناعي فقط، بل شمل القطاع التجاري بفرعيه الداخلي والخارجي، وقد كانت الضرائب والمكوس والرسوم التي فرضتها على المحلات التجارية والقوافل بمثابة عقبات عرقله مسار التجارة حيث نجد تناقص عدد القوافل القادمة من الجنوب الجزائري إلى المدن الساحلية بسبب الضرائب ، كما أن الباي يتمتع وحده بحق شراء بضائعهم فبهذا الاحتكار أصبح يساير نظام الضريبة ويتكيف معه، نظرا الاقتصاد السائد القائم على التصدير المواد الأولية واستيراد أشياء المصنعة، فهذا النظام الذي اعتمدته في جميعا لمرافق

وحضرها تصديره المنتوجات المحلية إلى الخارج، أدى إلى خراب التجارة الجزائرية أيضا نجد أن اليهود قد مارسوا جميع الفروع التجارية واحتكروا الصرافة وصناعه الذهب بالإضافة إلى ذلك أن اليهود بحكم مكانتهم فإنهم سعوا إلى منع الجزائر يين من إنشاء محلات تجارية في الموانئ فرنسا ما جعل الجزائريين يفرون من التجارة الخارجية مما أدى إلى انخفاض الأسعار الموارد المستوردة وترتب عنهم انخفاض المستوى المعيشي في الجزائر بصفه عامة.

الخلاصة:

بالإضافة إلى ما أشرنا إليه يمكن أن نخلص إلى إن :

– الحالة الاقتصادية في الجزائر كانت ضعيفة إذ أنها تقوم في الأساس على النشاط البحري بالدرجة الأولى وأهملت الزراعة و الصناعة والتجارة بسنهم لنظام الاحتكارات وفرضهم وفرضهم الضرائب جديدة وكثيرة على الشعب مما أدى بالفلاحين إلى هجرة الأرض مما تسبب في اضطراب الاقتصاد الجزائري مع أواخر العثماني فبدأ تدخل خزينة يضعف ويقل سنة بعد أخرى وبهذا القول فان الحياة الاقتصادية الجزائر خلال العهد العثماني كانت تتأثر بالأحوال الداخلية والخارجية للبلاد وانعكاساتها متعددة الآثار على البنية الاقتصادية لإيالة الجزائر.

الهوامش:

124– ابو قاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث،ط:2،الشركة الوطنية للنشر،الجزائر،2012،ص 153

125– صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر،الجزائر،1974،ص13

126– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني1792–1830(ط:2،دار البصائر،الجزائر،2012،ص37

127– سماعيلي زوليخة، تاريخ الجزائر ماقبل التاريخ الى الاستقلال، دار دزاير،الجزائر،2013،ص280

فهرس المحتويات

رقم المحاضرة	عنوان المحاضرة	رقم الصفحة
الباب الأول : التنظيمات العامة في الجزائر أثناء الحكم العثماني		2-57
المحاضرة الأولى	الأوضاع الاجتماعية خلال العهد العثماني	3
المحاضرة الثانية	التنظيم السياسي للجزائر خلال العهد العثماني	15
المحاضرة الثالثة	التنظيم العسكري للجزائر خلال العهد العثماني	21
المحاضرة الرابعة	التنظيم الاقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني	30
المحاضرة الخامسة	التنظيم الديني للجزائر خلال العهد العثماني	40
المحاضرة السادسة	علاقة السلطة العثمانية بالجزائر خلال العهد العثماني	52
الباب الثاني : الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني		58-89
المحاضرة السابعة	ثورات القرن السادس عشر	59
المحاضرة الثامنة	ثورات القرن السابع عشر	66
المحاضرة التاسعة	ثورات القرن الثامن عشر	72
المحاضرة العاشرة	ثورات القرن التاسع عشر	77-89
الباب الثالث : انعكاسات الثورات المحلية خلال العهد العثماني		90-101
المحاضرة الحادية عشر	الانعكاسات المختلفة للثورات خلال العهد العثماني	91